

عامر محمد بحيري

حصـــاد السـنين

بقلم عامر محمد بحيري

***

في ريـاض النبـوة

ذكرني الصديق الكريم ، والشاعر السباق الاستاذ محمد عبد الغني حسن .. بعهود مضت ، ومواقف مع الذكريات سلفت .. منذ عهد الشباب الاول .. فذكر بلادا عزيزة زرتها . في مقدمتها البلاد المقدسة ، من ارض الحجاز .. وفيها لبنان ، وسورية ، وفلسطين يوم التقينـا معا في مهرجان الشعر بغزة .. وفيها السودان ، ولي فيه ذكريات الطفولة .. ثم ذكرني باعمال المت بها ، وبوظائف شغلتها ... وكان للشعر في كل هذه المنازل، والمواقف صولات وجولات.. ولا بد أن يكون للحصاد منها بيادر حافلات.

واستحلفني الصديق بحق الود ، وبحرمة الادب .. الا اقطع حديث الذكريات من « حصاد السنين » عند موقف معين . ولعلي لا افشي سرا اذا قلت ان للصديق عبد الغني فضل كبير في دفعي الى الاستمرار في جمع هذا الحصـاد ، ونشره .. منذ اول مقال طالعه منه في « الاديب ».. ولا تكاد المجلة تصل الى القاهرة، حتى يدق التلفون في داري، حيث اسعد بصوته ، مخبرا عما قرأ منه في العدد الجديد، ومشجعا ، وحاثا لي على المضـي قـدما في الطريق الى غايتهـا ..

وانا اعترف انني حين بدأت هذه المقالات .. لم اكن اقدر لها ان تطول الى هذا القدر .. وما طالت الا بفضل صديقي الاديب الكبير ، واخوان لي أعزاء ، وقراء فضلاء، وتلاميذ بررة .. كلهم كتبوا الي ، او حدثوني .. فكان اقبالهم وتشجيعهم امانة في عنقي ، ارجو ان اوفق لادائهـا حق الاداء..

ولكن عندما اشرفت المقالات على العشرين ، ومضى من الزمن ما مضى من الشهو .. بـدا لي ان اتوقف ، لاحاسب نفسي ماذا فعلت .. فاذا بي أجد عجبا.. فما قدمت في الواقع من هذا الحصاد الا اقل القليل .. وما بقي الا اكثر الكثير ..

عند ذلك حاولت ان انتجع الراحة ، واركن الى شيء من الكسل.. فاذا بالصديـق عبد الغني يكتب الي في « الاديب » ، حاثا على المضي .. مفتحا امامي الابواب.. ذاكرا حرمة الادب ، وحق الادباء .. في مطالبتي بمواصلة الحديـث ..

وكان ثمة شيء آخر ، يحرضني على التوقـف، والاكتفاء بما نشرت .. ذلـك ان حديث الحصاد ، كـان حتى المقال العشرين منه ، حديثا خاصا .. ورغم المامه بامور متشعبة كثيرة ، ذات فائدة ادبية محققة .. الا انني كنت قد مللت حديث النفس ، وخشيت ان يكون ذلك قد ترك عند بعض الاصدقاء اثرا غير محمود .. فرأيت من تلقاء نفسي ان احول هذا الحصاد من حديث النفس ، الى حديث الجماعة بصفة عامة .. وكنت لحسن الحظ قد تلقيت ديوانا من الشعر ، شاءت الظروف ان يسميه صاحبه « حصاد السنين ».. فكان الالتقاء في هذا الاتجاه، وتوارد الخواطر على هذا النحو .. مع ما وجدته في شعره، من اصالة .. سبباً في ان اجعل الحصاد عاما ، واوجهه للنقد الادبي النافع ، كما وجهته من قبل للعرض المجرد..

ثم جاء خطاب صديقي الشاعر الكبير عبد الغـني حسن .. وطلبه الذي لا املك له ردا ..

ولقد كان ابرز ما ذكره في خطابه .. او لعله اكثر شيء اثر في نفسي .. قوله : « اين حصاد سنيك في التعليم ، وفي منزل الوحي بالحجاز ..» الخ الخ..

لذلك احببت ان يكون بدء الحديث .. أو مواصلته على الاصح .. من هذه النقطة في منزل الوحي..

لقد نظمت كثيرا من الشعر، متفرقا، منذ الشباب.. في موضوعات تتصل بهذه الحياة الروحية الكريمة .. ولكن هذا الشعر الروحي ، يبدأ على صورته الحقيقية في خلال الحرب العالمية الثانية .. عندما زارني في مكتبي بوزارة المعارف ، المرحوم الاستاذ احمد خيرت مفتش الاناشيد.. وطلب الي القاء قصيدة في الاحتفال بالعام الهجري الجديد (١٣٦٢)، الذي يقام في معهد الموسيقى الشرقي بالقاهرة.. وسرعان ما لبيت النداء ، وسرعان ما وصلت ابيات القصيدة الى مائة بيت .. القيت بعضها في الحفل .. ثم سرعان

ما رايتها مطبوعة في كتيب صغير ، وقد كتبت لها مقدمة موجزة قلت فيها :

« هذه الصفحات القليلة ، قصيدة نظمتها استجابة لدعوتين كريمتين ..

الاولى دعوة قومية سامية ، الى احياء عيد هجرة المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، والاحتفال به ، احتفالا عاما ، يليق بقدره ، كالاحتفال بعيد الميلاد المسيحي ، وعيد راس السنة الميلادية ، وغيرهما .

والثانية دعوة روحية خالصة ، آثرت معها اتباع هذا المنهج الجديد في الشعر الحديث .. بالعودة الى تلك القبلة الاولى ، التي كاد يتناساها الناس ، بين ضجيج المدينة ، ومذاهبها المتشعبة .

وقد آثرت ـ بالرغم من غلاء الورق وتعذر الطبع في هذه الايام ـ ان افرد هذه القصيدة بالطبع دون غيرها مما نظمت ، احتفاظا بذكراها ، وضنا بها ان يلحقها النسيان والاهمال .

واني اذ اتقدم بهذه القصيدة ، لا ارجو بنشرها غير الرضى من صاحب يوم الهجرة ، فيضفي على هذا الهالك بردة رضاه وشفاعته ، كما اضفاها من قبل على سيد مادحي حضرته النبوية الشريفة.. لو تتاح لمثلي من الضعفاء منازل الخلصاء ..

اتقدم اليك ، ايها الرسول الكريم ، سائلا الفتح بمدحك ، والفوز برضاك ، والقبول عندك .. ففي مدحك العزة والكرامة ، وبه تنفع الشفاعة

مدح الرجال تزلف ، ومهانة ابدا ، ومدحك عصمة وغناء

والسلام عليك ايها الرسول الكريم ، ورحمة الله وبركاته » اهـ

كان هذا في اول يناير عام ١٩٤٣ .. الذي وافق راس السنة الهجرية من عام ١٣٦٢هـ.. ولم تكد تمضي اربعة اعوام على ذلك التاريخ ، حتى وجدتني اقف بالمزار النبوي الشريف بالمدينة المنورة .. اردد ابياتا من هذه القصيدة.. لم اخطىء ترديدها ابدا ، كلما دخلت اليه، ووقفت ببابه .. وهي :

اني بمدحك يا رسول .. متيم وبان ازورك شوقي البرحاء
تسعى اليك على جناحي خافق روحي ، اذا ما قصر الاعضاء
لا العصر يثنيني .. ولا اضواؤه كذب وحقك هذه الضوضاء
باريز .. مدجية اذا قيست بها يوما مدينة نورك البيضاء
ظلم الرجال نفوسهم اودى بهم والظلم عقبى امره ظلماء
من لي بمرقصة الخيال سرية هي في مديحك روضة غناء
الكوثر المسول فيض عيونها والدر جرس القاع لا الحصباء
نظمت خلائقك الحسان فانتجت عقدا ، تطلع ناظريه .. ثراء
ولقد يود اخ المديح تميزا فضلا حوته البردة الفيحاء
مدح الرجال تزلف ، ومهانة ابدا .. ومدحك عصمة وغناء

اقول انني بعد اربع سنوات من هذه القصيدة.. وجدتني منتدبا للسفر الى الحجاز ، الى المملكة العربية السعودية ، في اول عهدها .. فعشت في تلك الرحاب الكريمة ، ثلاثة اعوام ، هي عندي خير اعوام الحياة ..

فبالاضافة الى ما نعمت به من حياة روحية سابغة ، وما نظمت فيها من قصائد وملاحم .. فقد عشت كذلك حياة هذه الامة العربية الحديثة الناهضة ، وهي تضع اللبنات الاولى ، في صرح هذه النهضة العالية .. عملت في التدريس وعرفت كثيرا من هذا الادب الحجازي ، قديمه وحديثه، وشغلت في جماعة « المسامرات الادبية » مع ابنائي من الطلاب بحديث المستقبل المنتظر ، حتى سارعت صحيفة يومية كبيرة ففتحت لهم بابا يعرضون فيه آراءهم تحت عنوان « كتاب المستقبل ».. على ما اذكر ..

ويكفي ان اعرض نموذجين لما نظمت من الشعر يومئذ في هذين الجانبين ، الروحي الخالص، والمدني المتطلع للنهضة والتقدم ..

اول ما لفت نظري بمكة المكرمة .. هذا الحمام المنتشر في الحرم الشريف .. في منظر جميل اخاذ .. فكانت اول قصيدة نظمتها هناك بعنوان .. «حمام الحرم» ..

اشعاع ، مجنح ، منشور ما ارى .. ام زبرجد منشور
ام جموع من الملائك تترى فيض الهامها قوي ، غزير
ام طيوف الاحلام صيغت خيالا لا ، ورب السماء .. هذي طيور
احمام غدا يطوف بالبيت ؟. فلله حجه المبرور
مر في الجو .. سابحا ، يتوالى وكان الفضاء بحر يمور
رب سرب غدا يزاحم سربا وجموع على جموع .. تغير
انها اسعد الطيور .. ببيت الله .. والبيت آهل ، معمور

وبعد اقامة اشهر في مكة المكرمة ، اتيحت لي فرصة لزيارة المدينة المنورة .. لاول مرة .. في غرة رجب عام ١٣٦٦ هـ، مايو ١٩٤٧م.. وعندما فارق ركب البريد، قرية « المسيجيد » الصغيرة ، عند الفجر ، على مشارف المدينة .. واخذ يلوح النخيل المتوهج تحت شعاع الشمس ، في الفضاء المترامي .. ومن ورائه المدينة البيضاء ، والقبة الخضراء.. كنت اردد مع زملاء الرحلة.. هذه الابيات التي كتبتها في الطريق ، بعنوان « نحو القبة الخضراء » :

اطو المسافة يا بريد .. فان قلبي يخفق
والدمع في عيني .. مبهور اللظى .. متدفق
عجل بنا .. اوليس انك .. مثلنا متشوق
عجل .. فان القبة الخضراء .. لاحت من بعيد
والقلب صاح مناديا .. : اطو المسافة يا بريد

واما الجانب المدني المتطلع الى النهضة والتقدم ، فاذكر منه فيما يتصل بالنشاط الادبي في محيط الشباب والطلاب .. هذا الحفل الكبير ، الذي اقيم في مكة المكرمة في ١٥ ابريل ١٩٤٨ .. والقيت فيه كلمة عن جماعة « المسامرات الادبية ».. كما اعددت قصيدة القاها يومئذ الطالب النجيب .. السيد ابراهيم العنقري .. وزير الاعلام بالمملكة العربية السعودية .. اليوم.. القاءه العربي الصحيح .. وهذه ابيات منها :

طموح في السماء له مرام كبدر لا يزول له تمام
واقدام تميد له الرواسي وصبر في الشدائد واعتزام

وايمان .. كبحر من شعاع   بساطع موجه غمر الظلام
وافئدة لنور الحق تهوى   كما يهوى الى الحرم الحمام
وارواح الى الآفاق تسمو   كما يسمو ويرتفع الغمام
وافكار تصيب الراي حرا   كما لا تخطيء الهدف السهام
ومجد يستعاد .. وكان قدما   يشيد عظيمه سلف عظام
فماذا ساقت الاقطار منه   وماذا قدم البلد الحرام

سؤال يحتاج الى جواب .. فلننظر كيف تسابقت الاقطار ، فتقدم الغرب يومئذ ، وتخلف الشرق ؟

تسابقت البلاد الى المعالي   وهبت من مراقدها النيام
وشاد الغرب ماردة المباني   كأن الغاديات لها حزام
يرون الحق في اضواء علم   وفي اصداء فكر لا يرام
ونحن على تأخرنا قعود   بضاعتنا التنابذ والكلام
افي الجوزاء .. مركبهم حديد   وفي البيداء .. مركبنا سنام
اذا الاسلام لم يرجع قويا   كمبدئه .. فلا نشر السلام
سل الاجداد .. كم لهم انتصار   ونحن لنا مع الدين انهزام
عجيب ان نفذ كما اغذوا   فلا يشاى لخيلهم قتام
هل الارواح قد ضعفت وهانت   نفوس كان يذكيها ضرام
ام الايام قد عكست خطانا   فسرنا والوراء هو الامام
ام الاحلام خدرت الاماني   فكل حياة اكثرنا منام

وكان العنقري كلما لقيني ، يردد على سمعي هذه الابيات الثلاثة الاخيرة ، بتوقيعه البدوي العميق .. ثم يقول متأثرا : نعم والله يا استاذ .. ان الارواح قد ضعفت وهانت .. وان الايام قد عكست خطانا .. وان الاحلام قد خدرت الاماني .

ولكن القصيدة تمضي .. وهي تتمنى للعنقري وزملائه ، ان يكونوا طليعة ركب النهضة الجديدة فتقوى بهم الارواح وتعتز ، وتصح الخطى وتستقيم ، وتصحو الاماني وتتحقق الاحلام ..

من الوادي الخصيب نقلت خطوي   الى بلد لحرمته ذمام
جعلت « بمكة الكبرى » .. مقامي   فطاب بها ، وشرفني المقام
فحول البيت يسبح بي طواف   ودون الباب يوقفني التزام
واهل البيت لي اهل ، وحولي   بدار العلم ابناء كرام
ظماء للعلوم .. فانهلوهم   ايسقى العالمون وهم قيام
وهذا زورق صافوه حسنا   وللموج اصطراع ، وارتطام
فشدوا ازرهم .. ينشر شراع   لهم في الريح ، او يبلغ مرام

وختمت القصيدة ، بتمنيات للشباب المرسل في بعوث علمية الى مصر ، والخارج .. ليكونوا نواة للنهضة العربية الكبرى .. وبتحية لسمو الامير عبد الله الفيصل، الذي حضر الحفل وكانت له في نفوس الشباب منزلة عظيمة .. كما كان والده العظيم (جلالة الملك فيصل رائد النهضة وقائد الامة في وثبتها الكبيرة المجيدة) اميرا لمكة في ذلك الحين .. وهذه هي الابيات الاخيرةمن القصيدة ، الموجهة للامير الشاب :

امير الجيل ، انت رجاء جيل   ولاء شبابه لكم لزام
رأوا في فيصل لهم حساما   وانت لهم كوالدك الحسام
احاط بك الشباب ، وانت منهم   جنود النصر قائدها همام
نزلت بمصر فاحتفلت بعوث   لها منك احتفاء ، واهتمام
وهذا الحفل انضجها بعوثا   يزف وفودها .. عام ، فعام

ثم مرت الايام .. وعدت الى مصر ، وعملت في ادارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم، ثم في وزارةالثقافة، ثم سعدت بعضوية لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب .. سعدت بزمالة صفوة كريمة من كبار الشعراء .. في مقدمتهم صديقي عبد الغني حسن الذي ذكرني اليوم بكل هذا الحديث .. في فقرة صغيرة ، من فقرات خطابه المركز البليغ ..

على انني في كل هذه الفترة لم انس منزل الوحي.. ولا رياض النبوة .. التي غمرتني بانوارها الساطعة .. وكان اول ما كتبت هو ملحمة امير الانبياء .. التي سارع صديق من الحجاز ايضا ، هو الشاعر الكبير حسن عبد الله القرشي .. بتحيتها بقصيدة من شعره الرقيق ، الممتاز .. وهي التي يسعدني ان اعيد ترديدها في هذا المقام .. قال القرشي:

مرحى لنفحتك الفريدة عن « امير الانبياء »
مرحى للملحمة تسجل .. في اطار من ضياء
.. معنى الخلود ... تزفه للكون الحان السماء
مرحى لهذا الشعر ... بو رك في الصباح وفي المساء
رتلته نشوان من وحي ترقرق في « حراء »
رتلته من عالم الطهر الاصيل من الصفاء

هذا قريضك رف في قلبي ، وهدهد من شقائي
واعاد ذكرى لا تريم بخاطري فرحى النقاء
ومواكبا ... لمحمد من هب يدعو للبناء
يدعو وقد جثم الظلا م على قلوب من عداء
يدعو لرب العالمين .. وصوته ملء الفضاء
يدعو لتوحيد الاله ... وكم تعذب في الدعاء
حتى سرى صوت الهدى في الناس مسرى الكهرباء
وتجاوبت اصداؤه في الكون شماء اللواء
وهفا الجميع لفاطر الاكوان ، جبار السماء
والتف حول محمد المختار اقطاب الفداء
من دوخوا الدنيا بآ ثار البطولات الوضاء
وعنا الزمان لباسهم فهم المنار لكل راء

هذا قريضك زاهر الاشعاع ، مشبوب النداء
يكفيك انك قد شفيت به قلوب الاتقياء
ومدحت احمد .. خير ممدوح ، قمين بالثناء
فاهنأ بشعرك ، وابق للفصحى سعيدا بالبقاء

وقد نشر القرشي هذه الابيات الجميلة ، فيديوان جميل .. اسماه « الامس الضائع » .. ولعلي اعود الى الصديق القرشي ، وشعره الرقيق ، في فصل من فصول هذا الحصاد .. فهو احق به .. ولعلي استطيع ان اثبت له حينئذ ان الامس الغالي ، الذي يبنى عليه المستقبل المأمول .. لا يمكن ان يضيع !

ثم كانت نكسة حزيران ١٩٦٧ .. كما سميت .. فتبلبلت الافكار واضطربت ، وشاعت روح الهزيمة ، لولا الايمان الذي عمر القلوب الصادقة .. ففي هذا المضطرب ، تذكرت ما قلته قبل ربع قرن من الزمان، في عام ١٩٤٣ .. من ضرورة « العودة الى تلك القبلة الاولى ، التي كاد يتناساها الناس ، بين ضجيج المدينة، ومذاهبها المتشعبة .. وهكذا لم يكد يهل شهر المحرم من العام الهجري الجديد ١٣٨٨ هـ (الموافق ليوم ٣٠ مارس ١٩٦٨) .. حتى نظمت قصيدة من تسعين بيتا..

العازف الضرير

« سائل ضرير يعزف على كمانه ، ويحرسه ويقوده على الطريق كلبه ، وقد الف بين ثلاثتهم وفاء حنون ، سلكهم في محبة وادعة ، واطلقهم في نغمة ساجية » .

هل بعد نور العين شيء يعشق — ام بعده في الكون نور يشرق
هو في الحياة لبابها وشبابها — هو بسمة الدنيا وروض مورق
هو في الوجود نعيمه وحميمه — وهو المحدث ان جفاك المنطق
والعين عون في الحياة وسحرها — بحر تردى فيه صب مغرق
والعين مرآة القلوب تكشفت — منها الخفايا والخبيء المغلق
يا ما تحدثت العيون بسرها — فاجابها اللحظ الشقي المطرق
تتعانق النظرات عند لقائها — وتكاد من فرط التشوق تخفق
نور العيون ، ولا بديل لنورها — سبحان خالقه وجل الخالق
كنز مثنى يا لحكمة خلقه — والله ، جل جلاله ، المترفق
ان فارق العينين نورهما فما — يجدي التحسر والشقاء المطبق
الله في عون الضرير ، فانما — روح الاله تعينه وتوفق
في وجهه البسمات تترى عذبة — فيها البراءة والرضى يترقرق
اني رأيت على الطريق عجيبة — تسمو بصاحبها الضرير وتنطق
لم تنزع البلوى التي حاقت به — فنا ينير سبيله وينمق
بالعزف يقطع يومه متأملا — في نشوة ، والفن سحر شيق
هو سائل في الناس يرجو رفدهم — ويقوده كلب وفي مشفق
كلب غدا عينا وخلا وافيا — احنى عليه من الانام واشفق
قسماته تشدو بلحن وفائه — ويكاد للنغم الجميل يصفق
يا للضرير تنوعت حسراته — يا ليتها تبلى عليه وتخلق
يمضي الى ذات المكان صباحه — كمسائه ، ليل يطول ويزهق
انغامه علم عليه ، وفنه — عوض اليه ، وكلبه يترفق
تتصدق الدنيا عليه بمنة — وهو الكريم بفنه يتصدق

القاهرة — احمد عبد المجيد

سميتها « النبي .. والمعركة » .. وقد كنت اتطلع ان تكون نهجا للبردة النبوية المعروفة عند السابقين من الشعراء .. ولكن حديث المعركة طغى عليها .. وفي ذلك قلت ، متمنيا ان يتحقق الحلم الكبير ، فيثأر العرب الكرام ويستردوا حقهم المسلوب ..

قد حارب العرب عن دين وعن حسب — اما العدو .. فعن غدر وعن دخل
ولست انكر ما ضحت كتائبنا — في مارج النار ، بين الموت والخبل
ان الشهيد .. الذي ضحى بمهجته — هو الذي يستحق النعت بالبطل
والانتقاد رهيب حين نصدعهم — لقاء ذي مرة .. لا خوف مرتجل
انما تنصر الاوطان افئدة — توحدت دون صف غير منخذل
اذ يخرج العرب جيشا لا صدوع به — فيغسل الارض منهم كل مغتسل
ان النفوس اذا ما طهرت صلحت — لحمل اعباء جهد .. غير محتمل
غدا لنا امل في الله ناصرنا — وكم لنا في رسول الله من امل

وعندما قامت دولة « العلم والايمان » .. بعد اعوام قليلة ، تحقق هذا الامل الكبير في الله .. وفي رسول الله .. فكان يوم السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ــ العاشر من رمضان ١٣٩٣ ، نصرا للعرب ، وجيشهم الباسل في سيناء والجولان ، وكان سلاحهم الرهيب سلاح البترول ... الذي زلزل الغرب امما ، كانت عن قوة العرب غافلة او متغافلة ...

وقد جمعت كثيرا من هذا الشعر في ديوان اسميته « في رياض النبوة » .. ارجو ان يجد طريقه الى النشر عن قريب ..

على انني وانا انتقل بالحصاد من حديث النفس ، الى حديث الجماعة .. ارجو ان اعرض في فصل مستقل .. ديوانا يسمى « من وحي النبوة » .. لذات الصديق الكريم ، والشاعر السباق .. محمد عبد الغني حسن .. فالى لقاء ..

مصر الجديدة — عامر محمد بحيري

التكوين الفني لمحمد عبد الحليم عبد الله

من فن المقامة الى القصة الحديثة

بقلم الدكتور يوسف نوفل

* * *

مهما تعددت القضايا ، فالحديث عن عبد الحليم عبد الله يرتد من قريب او بعيد الى الريف . وفي الريف كان التعليم مفخرة يتشبث بها الفقراء ، وشرع كاتبنا يتلقى تعليمه الاولي في مدرسة « كفر بولين » الابتدائية ، وكان اهله قد اتجهوا به الى حفظ القرآن الكريم في كتاب القرية ، لكنه تطلع الى نيل ما حققه اترابه من التعلم بمدارس ذلك العهد حيث تتنوع المواد الدراسية فيتجدد الاهتمام والشغف .

ويشير كاتبنا الى انه لم يكن بين النابهين في مرحلة الشباب ، ويعلل لذلك بدوافع اجتماعية صحية ، يقول :

« اما الداعي الاجتماعي ، فهو شعوري انني منسوب الى الطبقة الفقيرة ، واما الصحي فهو انني كنت ضئيل الجسم ، حاد الحساسية ، فلما صرت شابا اصبحت كثير الاحلام ، كثير الشرود ، وهذا يتنافى مع تحصيل الدروس » .

وقد لفت نظر اساتذته اسلوبه الجيد وعباراته المشرقة ، وتجلى ذلك فيما يكتب من موضوعات التعبير ، وفيما يلقي من كلمات المناسبات والحفلات المختلفة بالمدرسة ، مما جعل اساتذته يحيون فيه هذه الملكة ، ويشجعونه على مواصلة العطاء فيها ، وقد يحلو هنا ان نذكر حديثه عن ذلك .

يقول عن استاذ له اسمه الاستاذ حسن احمد الخطيب : « على يد هذا الرجل ، ومن عاطفته نحوي ، بدات احب الادب ، وكتبت اول موضوع انشاء مازلت اذكره واعتز به ، وكان عنوانه « حوار بين قاص يعتز بشرف مهنته ، ومحام يعتز بحرية عمله » ، كان هذا الرجل المثالي بحق » (١) .

واقترن التعليم لديه بالهجرة ، هجرة وطنه الصغير المتمثل في قريته ، الى مجتمع متسع فسيح هو القاهرة ، وكان ما يزال في مطلع حياته ، تخطى العاشرة ، قليلا ، وهناك احس بالوحدة والغربة ، حتى لقد تجسد هذا الاحساس لديه في شعور باليتم لم يفارقه في وحدته ، ولم يفارقه في اجتماعه باصدقائه بمقهى « لوكس » بالسيدة زينب .

وفي اعقاب هذه الآونة ، لقن اخاه الاصغر عبد الوارث ابياتا لعلي بن الجهم (٢) تصور الاحساس بالغربة ، هي :

وارحمتا للغريب بالبلد النازح ماذا بنفسه صنعا
فارق احبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا

وبانتهاء دراسته في دار العلوم عام ١٩٣٧ (٣) بدات مرحلة جديدة في حياته ، حيث يعمل بمجمع اللغة العربية محررا ، ثم رئيسا للتحرير ، ثم مراقبا عاما للمجمع .

ولا شك ان عمله بمجمع اللغة العربية ، كان له اكبر الاثر في تكوينه الثقافي والادبي حيث وقع على مكتبة تضم عشرين الف مجلد ، واخذ ينهل منها ويقرأ ، كما يسر له ذلك الموقع الاتصال بالاوساط الادبية ، وبمفكري الامة وادبائها .

على ان قراءات محمد عبد الحليم عبد الله ، كغيره من الادباء ، لها اكبر الاثر في صياغته وتكوينه ، وقد كان من قراءاته الباكرة بعد حفظ القرآن الكريم والفية ابن مالك وشغفه بالمقامات ــ انتاج جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة . يقول :

« وقد احببت جبران في صباي الى درجة كبيرة ، ونعيمة عندي فيلسوف ناقد (٤) واعجبت بانتاج المنفلوطي ومحمد تيمور ، والدكتور طه حسين ، ومحمود تيمور والعقاد وتوفيق الحكيم والرافعي وشوقي والبارودي » .

ويبين عن اعجابه بالايام للدكتور طه حسين فيقول :

« ان الدكتور طه حسين وصف بؤسه وشقاءه وتفرده في الحديث من هذا الكتاب ، وانا في هذه المرحلة من العمر كنت اشعر حقيقة بالوحدة ، وحدة ذات نواح متعددة كانها وحدة الصحراء تماما ، لانني كنت افكر اولا في بناء نفسي وتثقيفها ، وافكر ثانيا في بناء اسرتي » (٥) .

وشغف كاتبنا بروايات : انا كارنينا لتولستوي ، ومدام بوفاري لفلوبير ، وتس سليلة دربرفيل لتوماس هاردي ، وقد كثر في مقالاته تناول الاعمال العالمية مثل حديثه عن اسرة ارتامونوف لمكسيم جوركي (٦) ، والحب لدى تولستوي (٧) ، والصعاليق لدى جوركي (٨) وكان احب الكتاب الى قلبه تولستوي (٩) .

يقول عن مصادر تأثره الاوروبية :

« احببت من الكتاب الفرنسيين : بلزاك وستاندال ، والانكليز : توماس هاردي ، وجرين ، وموم ، ومن روسيا كل كتاب ما قبل الثورة : دستويفسكي ، وجوجول ، وتولستوي ، وتشيكوف ، وجوركي ، وبالاخص تولستوي » (١٠) .

يصنف كاتبنا دراسته صنفين :

اولهما : دراسته الرسمية ، وثانيتهما : دراسته غير الرسمية .

الاولى : دراسته في دار العلوم العليا ، وهي كلاسيكية استهواه فيها النوع الوجداني المتمثل في الشعر

العربي يقول :

« كنت احس وانا طالب انني اريد ان اقول شيئا ، ولم اكن املك المرشد ولا الموجه ، فاتجهت الى الشعر فقرأته في كل العصور وحفظت احدث ما قيل فيه ايامها . وهو مسرحيات شوقي ، واحببت الجاحظ وحاولت ان اكتب مثل رسائله ، فضلا عن نظم الشعر ، وكانت « السياسة الاسبوعية » و« البلاغ الاسبوعي » و « الرسالة » القديمة (١١) وبعض كتب الجيل الكبير الذي سبقنا هي زادي وتسليتي حتى تخرجت في دار العلوم ، والتحقت محررا بمجمع اللغة العربية ، وقد يظن السامع ان المرحلة الثانية او مرحلة الدراسة غير الرسمية بدات عقب ذلك ، لا ، فان فجوة كبيرة حدثت في حياتي. هذه الفجوة نشأت من التغيير الذي طرأ على حياتي الاجتماعية ، اذ خرجت من طالب مكفول الى موظف يجب ان يتكفل بغيره ، ولما لم اعد منسوبا الى الاولى ، ولم اصل بعد الى ان اكون اهلا للثانية ، فقد احسست بالفراغ ، وبعد ان تعذبت سنتين ، اتجهت ثانية الى القراءة ، فبدات مرحلة دراسية غير مقصودة كالمدة التي يتسلى فيها السجين بالكتب .

وطبيعي ان تعرفوا ان جيلنا كان مفتونا بكتاب البعث في بلدنا : طه حسين والعقاد ، والزيات ، والرافعي والسباعي ، وهيكل وغيرهم ، ومن الشعراء : حافظ وشوقي ومطران ، ولم اكن مكتفيا بأن اقرأ لهم بل كنت احلم بأن تقع عيني على احدهم حلم الطفل بثوب العيد » (١٢) .

اما الثانية ، فتبدو في قراءاته واطلاعاته المتعددة . ويضاف الى تكوينه الثقافي عن طريق القراءة عامل آخر اسهم اسهاما جادا في تكوينه وصقله ، الا وهو الحب ، وتجربة الحب لدى كاتبنا لها دلالة خطيرة ، سواء أكان هذا الحب متمثلا في علاقته بالمرأة ، ام متمثلا في علاقاته الاسرية على مستوى عائلته واهله ، فقد ملك كاتبنا قلبا كبيرا ، وعاطفة سخية متقدة .

كان لقاؤه الاول بالحب في تجربة ساذجة مع زميلة بالمدرسة الاولية المشتركة في قريته وهو دون العاشرة ، وكانت هناك علاقات اخرى بعد ذلك تراوحت بين الاحساس الطبقي ، والارتباط بين الحب والمنفعة ، والتأرجح بين القلب والعقل ، الى ان توج ذلك كله بالزواج .

يقول كاتبنا عن الحب :

« تجربة الحب من اهم واكبر وانفع التجارب التي يمر بها كل فنان ، وهي في نظري مصدر الهام كبير له ، فما اشبهها ــ التجربة او الحبيبة ــ بقطعة البلور التي يمر منها الشعاع فتحلله الى إلوان الطيف الزاهية الرائعة الساحرة » .

كما يقول : « لم ابدأ كتابة القصص الا بعد ان تعرضت للتجارب الحقيقية واولها تجربة الحب » (١٣).

وهناك جانب آخر اسهم في تشييد البناء الثقافي وهو الرحلات ، فعلى الرغم من انه كان يشكو مرضا دائما سافر الى جميع محافظات مصر ، ومعظم البلاد العربية ، وشارك في معظم المؤتمرات الادبية ، ورحل الى اوروبا صيف عام ١٩٥٤ حين اوفدته وزارة التربية والتعليم في بعثة صيفية للثقافة والدراسة الى فرنسا ، وظل ثلاثة شهور ، درس خلال عشرين يوما منها (من الرابع حتى الرابع والعشرين من اغسطس عام ١٩٥٤) قسطا من اللغة الفرنسية ، وكان رفيقه في هذه الرحلة علي احمد باكثير .

ومن هذه الرحلات والاسفار استمد كاتبنا زادا من المعرفة والثقافة ، واطلع على عادات ولهجات شعوب هذه الاقطار . ومن يتأمل اعماله يجد صورة من ذلك فيها ، كما سيجد قضية السفر تلوح في اعماله كثيرا .

اما الريف والطبيعة فلهما جانب كبير في تكوينه الفني ، فمنذ نشأته ، وحب قريته يختلط بدمه ، ومعه حب الطبيعة والجمال ، وعن طريق حب الجمال انبعث غناؤه وحبه للقرية والريف والمنكوبين والفقراء في كل مكان ، وانبعث همه الشاعر في قصصه ، وفيضه العاطفي .

وباستعراض هذه العوامل في حياة محمد عبد الحليم عبد الله ، يدرك الباحث مدى اسهامها في تكوينه الثقافي ، وفي خلق شخصيته الادبية سواء اكان ذلك في اعماله الروائية منذ ابريسم ولقيطة حتى آخر اعماله الروائية قصة لم تتم ، ام في اعماله القصيرة منذ مجموعته الاولى « النافذة الغربية » عام ١٩٥٤ حتى مجموعته الاخيرة « جولييت فوق سطح القمر » عام ١٩٧٠ . كما يبدو ذلك ايضا في مقالاته المتنوعة ، واحاديثه التي جرت بينه وبين مشاهير الادباء ، او بينه وبين الصحافيين .

وفي ذلك كله ، انتقل محمد عبد الحليم عبد الله من مجرد التأثر المفتون بفن المقامة القديمة الى المحاكاة الاصيلة والتأثر الجاد بفن القصة الحديثة .

الكويت — يوسف نوفل

---

(١) مجلة الجيل الجديد ـ ٢٠ـ١ـ١٩٥٨ . (٢) انظر ديوانه ص١٥٤ ط٢ـ بيروت. (٣) انظر تقويم دار العلوم ـ العدد الخامس ـ ص٨٠٥ . (٤) مجلة كل شيء اللبنانية ٢٢ من ايار ١٩٦٥ . (٥) مجلة الهلال ـ ١/١٠/١٩٧٠ ، (٦) مجلة الرسالة الجديدة ـ مارس ١٩٥٦ . (٧) مجلة الرسالة الجديدة ـ نوفمبر ١٩٥٦ . (٨) مجلة الرسالة الجديدة ـ ابريل ١٩٥٦ . (٩) مجلة القصة ـ يوليو ١٩٦٤ . (١٠) جريدة الانوار اللبنانية ١٩٦١ . (١١) ذكر القديمة تمييزا لها عن الجديدة التي صدرت عام ١٩٥٤ وتوقفت عام ١٩٥٩ . (١٢) مجلة الاديب مايو ١٩٦٢ . (١٣) مجلة التحرير العدد ٢٥.

رفيقة دربي

●

رفيقة دربي كيف اقطعه وحدي ... وما لي من حول وما بي من جهد
أراه طويلا لا تني عثراته ... تعرقل من خطوي وتثلم من حدي
تحملت اعباء الابوة صامتا ... وان تك فوق الظهر تجثم كالطود
أأحمل اعباء الامومة فوقها ... فاسقط منهارا ، وما انا بالجلد
أأصبح اما في الحياة ووالدا ... رويدشقائي ،كم يضاعفمنوجدي
فكم ليلة كابدتها مع طفلة ... تئن فابدي جازعا مثلما تبدي
« كاني انا المطروق دونك بالذي ... طرقت » مقال كان تفسيره عندي
أيسلمني كدح النهار لمهنتي ... ويسلمني الليلالطويل الى السهد
ويا رب داء قد كتمت فلم ابح ... باثقاله ، كيلا اخفف من كدي
اقارن بين الامس واليوم باكيا ... لخطب ترامى بي من الضد للضد
فاين بهاء الامسيات رفيقة ... تارج بالنعمى وتنضر بالود
تلألأ في عيني بهيجا رواؤها ... كما لألأ الطل النثير على الورد
حنان يحيل البرد دفئا محببا ... فلسنا به نحتاج في البرد للوقد
يشبع الرضا فيه فيغني قليلنا ... فنحيا مع الاقلال في عيشة رغد
اذا عدت البؤسى طواها تفاهم ... وعى كرة الايام بالنحس والسعد
تفاهم قلبين استناما الى المنى ... حفين بالحسنى وفيين بالعهد
غنين لا عن ثروة بل قناعة ... نقابلها بالشكر لله والحمد
شهدت لقد عنيت بعد فراقها ... وبعض عزائي انها سعدت بعدي
أريحت من السقم المرير وهنئت ... بمقعد صدق منلدن صادق الوعد
تحيفها الداء الممض رشيقة ... نضيرة عود شب مخضوضر القد
لها ثمر يسبيك مزدهر الجنى ... تصورته احلى مذاقا من الشهد
الح عليها فاتكا بشبابها ... فكدت احلى ما نهلت من الورد
تناوبها سقم وبرء تعاقبا ... عليها عقاب الموج بالجزر والمد
واذاقلتصحت واستعادت رواءها ... دهاها انتكاس لاح في صفرة الخد
وكانت على عنف الصراع ابية ... ترى صخب الدنيا فتبسم في زهد
كساها صيال الداء في وثباته ... جمالاحزينا شد ما لا تمنى وحدي
رأت وجه مولاها كريما فكوفئت ... باعطر ما تحوي الفراديس من ند
تمر الليالي لست انسى وفاءها ... واقبالها نحوي بما طاب من رفد
فيا حسرة الحي المعذب في الورى ... ويا نعمة الميت الممتع بالخلد
وكنا كغصنين استتما حلاهما ... على رونق يسبيك في الاغض الملد
(فافرد هذا الغصن عن ذاك قاطع ... فيا من رآى فردا يحن الى فرد)

الرياض ــ كلية اللغة العربية

محمد رجب البيومي



عبد الرزاق الهلالي

من شعـــراء العـــراق

عبـد الرحمـن البنـــاء

١٢٩٩ هـ – ١٣٧٥ هـ

١٨٨١ م – ١٩٥٥ م

بقلم عبد الرزاق الهـلالي

* * *

توطئة : ان هذا الشاعر الذي نقدمه لقـراء « الاديـب » الغراء ، شاعر عصامي ، نشأ في وسط من اوساط بغداد الشعبية ، وامتهن منذ صباه ، حرفة البناء ، وبرز فيها ، حتى اصبح بعد حين ، في عداد المعماريين من (الاسطوات) في فن العمارة والبناء !

ولكن الظاهر ان هذا الرجل العصامي ، عشق الادب، ومـال الى الشعر ، ثم اخذ يمارس نظمه على قلة ثقافته ، وبساطة معلوماته ، الا انه مع كل هذا ظل مثابرا على اشباع رغبته حتى اصبح في مطلع القرن العشرين ، شاعرا من شعراء العراق ، وبدا اسمه معروفا لدى العراقيين خلال اندلاع نيران الثورة العراقية في شهر حزيران سنة ١٩٢٠، اذ كان من شعراء هذه الثورة ، له فيها قصائد ومواقف ، فمن هو هذا الشاعر يا ترى؟!

عبد الرحمن البناء : هو عبد الرحمن بن بطي ،البناء، ولد في بغداد سنة ١٢٩٩ هـ – ١٨٨١ م ونشأ فـي احدى محلاتها الشعبية ، كما ينشأ ابناء الطبقة الفقيرة فيهـا انذاك ، حتى اذا شب عن الطوق ، وبلغ مبلغ الصبيان ، دفعه والده للعمل في البناء ، وراح منذ ذلك الوقت يعمل تحت اشراف اساتيذ هذه الحرفة من البنائين ! ان ابـاه بعمله هذا ، لم يحد عن الخطة التي كانت متبعة فـي ذلك العهد لدى معظم ابناء الشعب ، ولقد حدثنا الاستاذ محمد بهجة الاثري (١) عن هذه الخطة قائلا :

. . . لقد كان الناس على العهد التركي فريقين ،فريق يبعث بأبنائه الى المدارس ، موجهين هممهم الـى الانتظام في سلك الحكومة ، طمعا في الحصول على المناصب والمراتب ، فينشأون ونفوسهم متأثرة بالثقافة التركية ! وفريق يرى الدراسة او هذا النوع من الدراسة ، يجرد الامـة مـن مقوماتها ومشخصاتها، ويفضل الامية والجهل عليه تفضيلا وهذا الفريق هو مجموع (الفعلة) والصناع وارباب الحرف، وعدده يزيد على عدد الاول اضعافا مضاعفة .

ولهؤلاء في كل حي من احياء المدينة مجلس عـام يسمى (المقهى) ينتابونه في اوقات الفراغ وحين الانتهاء من اعمالهم اليومية ، وفي كل مقهى قصاص ، يروي لهم في الليالي ، لاسيما ليالي الشتاء ، قصة « عنترة » الشهيرة، وللقوم كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقرهم ، شغف شديد بسماعها ، وحفظ ما تنطوي عليه من الشعر الحماسي . . . فكانت هذه القصة من اكبر العوامل في الابقاء على الروح العربي في هذا الطريق .

الى هذه المدرسة كان يختلف البناء ، صغيرا مع شبان حيه ، وبها تأثرت نفسه بالروح العربي ومنها تزود ، مادة الشعر ، كما حدثني عن نفسه !»

البناء ، المعمار : وحين بلغ البناء عبد الرحمن ، مبلغ الشبان ، أتقن حرفته ، وبرع فيها ، وأصبح في عـداد اساتذة هذه الحرفة في بغداد . وبالنظر لما اظهره من مقدرة ومهارة في حرفته ، استحق عن جدارة لقب (معمار) ، هذا اللقب الذي يعتز به ويفخر !

ومن ذلك ما حدثنا عنه المرحوم الدكتور زكي مبارك(٢) قـائـلا :

« فمن شعراء العراق اليوم ، في بغداد ، شاعر مجيد، هو صديقنا العزيز ، السيد عبدالرحمن البناء ، وهـو (بناء) حسا ومعنى ، ولكن عبقريته نقلته من هندسة المباني ، الى هندسة القوافي : جلست مرة مع هذا الشاعر في ليلة قمراء ، كأنها الصبح المشرق في مصر الجديـدة ، جلسنا في بهو فندق « العالم العربي » المطل على دجلة ، فنظر الي ، وقال :

(١) مقدمة ديوان « ذكرى استقلال العراق » للبناء بغداد ١٩٢٧

(٢) « زكي مبارك في العراق » تاليف كاتب هذا البحث .

ــ انا الذي بنيت هذه المسناة !!

فوقعت هذه العبارة من نفسي موقع الشعر الجميل!»

البناء الشاعر :

وهكذا ظل هذا البناء ، يتقن عمله في البناء ، ولكنه في الوقت نفسه ظل ينمي حب الشعر والرغبة في الاجادة به على مر الايام بالرغم من انصرافه في اعمال البناء ، ومن طريف ما روى الاستاذ الاثري ، عن هذه الناحية فيه ، هذه الصورة اذ قال :

« لقد رايت البناء يوما ، واقفا في محل بالشارع العام ، يدير (الفعلة) ويصرخ بهذا وذاك ، وبيده قلم وصفيحة من الطابق الصفراء ، فدنوت منه ، واذا به يدون قصيدة جاش بها صدره وفاضت على لسانه .. »

لقد ثابر هذا العصامي ، على ممارسة نظم الشعر ، غير مبال بما كان يوجه لشعره من نقد ، حتى اذا قامت ثورة العشرين الوطنية ، كا ن من جملة شعرائها الذين اسهموا مساهمة كبيرة في تنظيم صفوف الشعب وحملهم على الثورة ضد المستعمر الغاشم !

وانه لمن الغريب حقا ، ان نجد بعض اخواننا من دارسي ومؤرخي الشعر العراقي ، يهملون ذكر هذا الشاعر ، ذاك لانهم ، يرونه لا يتجاوز حدود النظم في شعره !! بينما كان الانصاف يقضي بدراسته،وتقديمه كشاعر من الشعراء العصاميين الذين دخلوا حلبة الشعر، وهم على هذا المستوى من التعليم والثقافة !

ولعل الاستاذ الاثري كان اول كاتب ، التفت الى هذه الناحية ، ففي كلمته التي قدم بها ديوان هذا الرجل قال :

« واذا كنا نأخذ على شعره بعض البعد عن أساليب البيان العربي احيانا ، فان ما نجده فيه من العاطفة العربية البينة ، والروح الاسلامي ، والتغني بمجدنا الغابر ، الذي تبعث ذكرياته روحا يتوقد في النفوس ، لينسينا منه كل نبوة لغوية ، وكبوة بيانية ... على انني لا احسب شاعرا ، يتسع له مجال القول وهو ممنى كصاحبنا بحرفة البناء ، يقضي سحابة نهاره بين الطين والغبار وضوضاء الفعلة .. ولو اتيح له من عمله وقت يفرغ فيه لدرس الاساليب الفصحى، ويحتذي عليها ، ويحكم اللغة وفنون البلاغة ، لجاء منه شاعرا أي شاعر!»

الشاعر الاستقلالي : ان هذا البناء ، لم يكن يأنف من عمله ، كما لم يكن يلتفتالى نقد ناقدي شعره ، فهو الذي قال في احدى قصائده :

انا البناء من غير افتخار قضيت العمر في ماء وطين !

وقد ظل كما قلنا مثابرا على نظم الشعر ، مكثرا في ذلك ، حتى اذا اندلعت نيران ثورة العشرين كان فيالطليعة من شعرائها ، وبالنظر لاندفاعه في محاربة الاستعمار ومطالبته لاستقلال العراق ، وتحرره من كل قيد ، نال من جراء كل ذلك لقب « الشاعر الاستقلالي » هذا اللقب الذي ظل معتزا به الى آخر لحظة من حياته !

وعن موقف البناء في تلك الايام الوطنية ، حدثنا الاستاذ مصطفى علي ، بكلمته التي كتبها عن (اولديوان للبناء) قال فيها :

« مازلت اتذكر الشاعر عبد الرحمنالبناء، بملابسه الشعبية ، وقد استبدل بـ (كشيدته) ٣ كوفية وعقالا، ابيضين ، وهو ينشد قصائده الحماسية في الحفلات الوطنية التي كان يقيمها الشعب مطالبا بالاستقلال وطرد المستعمر ، وهو اذا ما تنكر بكوفية وعقال ، فانى لصوته ان يتنكر ؟! بل أنى للبناء نفسه ان يخفي صوته ويستره ؟!

ان صوته كان يعلن للمستمعين ، ان المنشد هو عبدالرحمن البناء المعروف بمشاركته الشعب في شعوره الوطني ، حتى اسبغ عليهبحقلقب (الشاعر الاستقلالي)»

حياة مكدودة : ولما انتهت الثورة بمثل ما انتهتبه، وقامت في العراق دولة جديدة ، عاد البناء ، الى مجال عمله، الا ان سوء الاحوال الاقتصادية ، الذي سبب توقف اعمال البناء وغيرها من المشاريع العمرانية ، جعل البناء ، في حالة من الضيق المادي ، وقد هداه تفكيره الى طرق أبواب الدوائر التي يجد فيها عملا يناسب حرفته، فطرق باب دائرة الاوقاف ، علها تعينه (معمارا) يشرف على بناياتها وجوامعها ، ولكن كل ما بذل من جهود في سبيل ذلك لم تحقق رغبته !

الشاعر وشهر نيسان : ومن طريف ما سجل لنا الشاعر من صور ، ما جاء في قصيدته التي جعل عنوانها « شهر نيسان »، ففي هذه القصيدة اوضح ما كان طالبو الوظيفة يمنون انفسهم بحلول هذا الشهر ، وهو الشهر الذي تنفذ في مطلعه ميزانية الدولة للسنة الجديدة، وتطلق فيه التعيينات . ولما كان هو واحدا من هؤلاء فلنستمع الى ما يقول :

شهر الوظائف انت يا نيسان فلذاك مالك عندنا نسيان !

ثم قال واصفا حاله الذي هو حال كثير منزملائه:

ولطالما عللت نفسي بالمنى ففضى على آمالي الحرمان
وغدوت اصخب في (القهاوي) غاضبا وبمهجتي من خيبتي نيران
ابدي انتقادا للحكومة زاعما في كل ما قد اكملت نقصان
أهجو وامدح من اشاء ولي به تلفيق اخبار لها الوان
من حيث اني لم اوظف ، نابني مثل الجنون كانني سكران
طورا هواي (البولشفيك)وتارة (ترك) واخرى قصدي (الاخوان)؟ (٤)
ذا شان من قد خاب في (نيسانه) لا جئتنا تختال يا نيسان

في عالم الصحافة : ثم لما ضاقت به السبل، اتجه نحو العمل الصحفي ، فما باله لا يكون صاحب جريدة وهو الشاعر، الذي لا يقل عن اصحاب الصحف التي صدرت في تلك الفترة ، أدبا وعلما ؟ لقد منح امتياز

---

(٣) الكشيدة : لباس من البسة الراس ، وهو عبارة عن طربوش تلف عليه قطعة من الحرير الاصفر ذي النقوش الذهبية !

(٤) في هذا يعرب عن اغاضته للحكومة ، بكونه شيوعيا تارة او (تركي الهوى) تارة او (من الاخوان) تارة ثالثة !

جريدة اسماها « الاخلاق » صدر عددها الاول يـــوم (٢٣ـ١ـ١٩٢٦) ثابر على اصدارها عامين كاملين ، الا انه شاء أن يستبدلها باخرى ، فأصدر جريدة «النور» يـوم (٢٣ـ٦ـ١٩٢٩) وقد استمرت هذه على الصدور حوالي عامين أبدلها بجريدة « بغداد » التي صدر عددها الاول يوم (٢٠ـ٧ـ١٩٣١) وقد استمر على اصدارها ، حتـى اذا كبر سنه توقفت عن الصدور !

آخر الصفحات : وهكذا ظل هذا الشاعر العصامي، يكابد متاعب الحياة ، ويغالب مشاكل العيش ، حتىوافته المنية يوم (٢٦ـ٦ـ١٩٥٥) فمات وله من العمر (٧٤)عاما. وحين بلغ نعيه مسامع صديقه ، مــطربالعراق الاول الاستاذ محمد القبانجي ، رثاه بكلمة على صفحات جريدة الزمان بعنوان « دمعة على شاعر » قال فيها :

« لقد صاحبت هذا الرجل زمنا طويلا ، فلم ار فيه الا خلقا رضيا ، ووفاء كريما وقلبا عطوفا ، وانه واللـه كان انسانا كاملا بكل ما في هذه الكلمة من معنى !

لقد زرته يوم كان طريح فراشه ، فسألته عـــن صحته ، فأجابني بهذا البيت :

اذا ابيض شعـر المرء واسود حظه   ففي الموت عز والقبور قصـور !!

شعره : لقد اصدر البناء ، رحمه الله ، ديـوانـين، صدر الاول في سنة ١٣٣١ هـ ـ ١٩١٢م وقدطبععلى نفقة المرحوم طالب باشا النقيب ، وصدر الثاني سنة ١٣٤٦هـ ١٩٢٧م وطبع على نفقة المرحوم امين عالي آل باشاعيان. وله غير ذلك شعر كثير منشور على صفحات الجرائـــد والمجلات العراقية .

ومما يلاحظ في شعره ، انه قد عالج فيه شتـى الاغراض ، الا ان للمدح فيهما النصيب الاوفى ! غير ان الذي نود التأكيد عليه هو ان شعر البناء ، سجل صادق لكثير من الوقائع والاحداث التي مرت على العراق خلال العهد العثماني الاخير والنصف الثاني من هذا القرن !

نماذج من شعره : ... ونقدم فيما يأتي نمــاذج من هذا الشعر ، تاركين للقارىء الكريم تقدير ما فيـــه من اخطاء او ضعف او ما الى ذلك الا اننا مع هذا نقول ، ان هذا الشاعرسيظل مثلا بارزا من امثلة الشعراء الذين دخلوا حلبة الشعر وهم على ما هم عليه من قلة فيالثقافة ونقص في العلم ، ولكنهم تركوا لهم صفحات حرية بالدرس والتحقيـــق !!

الـــى البنـائيـن

نظم الشاعر هذه القصيدة ، التي وجهها الى زملائه ، البنائين، وخاطبهم فيها قائلا :

اساتذة (التعمير) انتم اولي الحزم   كفاكم فخارا ان زففت لكم نظمي
لاني انا (البناء) للشعر والعلى   بنيـت لكم مجدا على قمـة النجم
اقـول لاربـاب الصناعة منكـم   مقـال حكيم لا يـروغ عـن الحكم
خذوا الصدق اما والاباء لكم آبا   وخلوا اكاذيب التفاخـر بالفطـم
ولا تجعلوا الا العفـاف شعـاركـم   لان عفيف النفس خـال من اللـؤم
وداروا (ذوي الاشغال) والدور منكم   برفق وانصاف وحلـم علـى حلـم
وراعوا بنـي دار السـلام بـرأفة   فان اغتصاب الحق من اقتل الظلم
فـات بنـي الاوطان سـاد عليهـم   دخيل ، غريب ، منبع الرزقوالعلم
فرفقـا بهم رفقـا لان حيـاتهـم   من البؤس باتت وهيفي حالة السقم
اقيموا بنـي امي القصور مشيـدة   على اسس التقوى اقيموا بني امي
اقيموا على الطرز الجديد بنـاءكم   بنصب ورفع جل عـن عامل الجزم
فميشتكم دون الصنائـع حـــرة   وغنمكم في الرزق من اوفر الغنم

ثم يوصي زملاءه بضرورة التجديد في عملهم قائلا :

وخطوا بديعات الخرائط وارسموا   نفيسا اذا ما اعجب الناس بالرسم
وصبوا بابداع القـوالب (طوقكم)   وصوغوا أكاليلا من الشرف الضخم
نعم وانقشوا (تاج السليمى)زاهرا   كروض انيق جاده عارض الوسم
وصدوا عن التقليد روحا حديثـة   تؤمـل ان ترقى الى عـالم النجم

الانتخـاب

نظم هذه القصيدة ، عندما قرر الاتحاديون اعادة انتخاب اعضاء مجلس (المبعوثان) أيام ولاية جمال السفاح على بغداد سنة ١٩١٢ فقد حث مواطنيه على انتخاب من هم اهل لتمثيلهم حيث قال :

بني وطنـي بكـم يحلو عـذابـي   ويعذب مـن تنـاضلكم جـوابـي
لقـــد آن انتخـابكـم فهيـــا   بنـي وطـن الـى حسـن المآب
وهبـوا للنيابـــة باجتهـــاد   ولا تبقـوا مجـالا للعتـــاب
فـلا يغويـكم شخص بـ «البس»   فكـم سحـب تكـد بلا انصبـاب
ولا يغـريكـم قـوم ضخـام   فـان الاجـر فـي (ام الكتـاب)
ولا تستحقـروا رجـلا مقـــلا   فليس السيف يقطـع بالقـراب
فليس الانتخـاب بجـم مـال   والقـاب كالقـاب الكعـاب
ولا فـي لبس كتـان وخــز   وهنـدام وتمطيـر الثيـاب
ولا في حمـل (بسطـون) وكتب   ولا فـي حسن وجـه مـن شبـاب
ولا في لحيـة عرضـت وطـالت   وتضميـخ الشـوارب بـالملاب
ولكـن ان نـرى (المبعوث) حـرا   يعمـر مجـدكم بعـد الخـراب
ويفـدى الروح بالاوطـان حبــا   ويـرأب صدعكم عنـد المصـاب
سديـد الـرأي ذا فكـر مصيـب   شديـد الحـزم ذا بأس مهـاب
سليم الطبع مـزدهر السجـايـا   ظهـور الذيـل ذا همم عجـاب
فتـى قـد حنكتـه وعـارضتـه   النـوائـب والدهـور بكـل بـاب
تـرعـرع بينكـم لا (اجنبيـا)   ليفهم قولكـم عنـد الخطـاب

حـــال الاطفـال

نظم هذه القصيدة في وصف الحالة التي كان عليها الاطـفال في بغداد في اوائل هذا القرن ، نظمها على لسانهم قائلا :

الى متـى نحن في طيش وفي خطل   نقضـي النهار بلا شغل ولا عمـل
بين الازقـة والاسواق تحسبنـا   من المجانين او من زمـرة الوعـل
نصف من العمر ضيعنـاه وا أسفا   بلعب (كعب) وفي (دوش وفيدحل)
وفي كرات وفي ركض بـلا سبـب   وفي قمار وفـي لهـو وفي كسل
تخالنـا كقـرود ليس نعجـز مـن   دق الاصابـع ، بعـد الهز بالكفل
لنـا (صراخ) (ه)فلم تعرف له لغة   لا في الوحـوش ولا في سائر الملل
منـه اشمازت نفوس العارفين وقد   تقهقـرت منه افكار عـن الجـدل

ثم يقـــول :

ويـلاه بـالـذل ضيعنـا شبيبتنـا   ومـا وجدنـا لنيل العز من سبل
لو كـان آباؤنـا من قبل ترشدنا   الـى الصلاح لنلنـا غايـة الامـل
لكن نشأنا على بئس الطبـاع من الصبا نعد من الاوغـــاد والسفـل

ثم يخاطب الاباء وغيرهم قائلا :

عطفـا الا ايهـا الابـاء ان لنــا   حقـا عليكم فانتـم علـة العلـل

كذاك يا اغنياء الحي ما لكـــم   تــركتمونــا بــلا شغل ولا عمــل
لنـا بكـم امـل للخير يوصلنـا   والمرء مـن غمرات الموت في ذهل
فاتوا لآخر دعـوانـا بمـدرسـة   وشمروا الذيـل وابنوها بلا مهـل
ميلوا باجمعكـم نحو العلوم عسى   فيهـا يقـام بما فينـا مـن الميـل
امـا الصناعة فـاحيوها لنا عجلا   فـرب خيـر مـرآة المرء في عجل

يـا مـاء دجلـة

يـا ماء دجلة كـم تروح مضـاعـا   تجـري على مـر الزمـان ضياعـا
تجري على مهل بدون افـــادة   ترجى وتجـرى ان افـدت سـراعا
تجري ولم تسـق الحقول وطالمـا   تسقـي وهـادا شسعـا وبقـاعـا
تجري كانـك ثوب تبـر خـالص   تهـدي لـه شمس الضباح شعاعا
كتب الضياء على مياهك هـذه   ام اساءت للبنيـن رضـاعـا
المـاء فوضى منـك فـي طغيـانـه   لـم يعـرف الظمآن والملتـاعـا
كـم قـد جرفـت مبانيـا ومغانيا   ومعـاقـلا ومسـاكنـا وقـلاعـا
قد كنت في زمـن الرشيد منظمـا   تحيي البـلاد وتعجـب الـزراعا
واليـوم صـرت بلا انتظام جاريـا   فحكيت اخـلاقا لنـا وطبـاعـا
في جانبيك تـرى الحقول ظواميـا   فتصـد عنهـا سـاخطـا مرتـاعـا
يـا منبع الخيـرات حولـك انفس   باتـت عطاشى ليلهـا وجيـاعـا
الارض قـاحلـة وانـت بجنبهـا   تجـري نعيمـا ضايقـا ومضـاعا

حـرارة قلـب

وقد نظم الشاعر هذه القصيدة ، بعيد هجرة شاعري العراق الكبيرين ، الرصافي والزهاوي في اوائل العشرينات من هذا القرن ، عبر فيها عن مشاعره نحوهما قائلا :

حـرارة قلـب لا يبوخ غليلهـا   وعلة جسم ليس يشفى عليلهـا
محى الدمع عيني بعد بعد احبتي   مخافـة اني في سواهم اجيلهـا
وذابـت عليهـم مهجتـي فعصرتها   فاضحت دموعا من عيوني اذيالهـا
تذكرنـي اخلاقهم نفحـة الصبا   كأن قبلت شوقـا تراهم قبولهـا
احبـة قلبـي هـل يعود زمـاننـا   بسلع وهل تبدو لعيني طلولهـا

ثم يصف شعره ، ويعرب عن اله ممن لا يقدر شاعريته ، لانـه (بناء) قائلا :

اجيـد بشعري حيث يحلو بجيدها   أتلـك نجوم ، ام قـواف اقولهـا
بهـا نظـم شعري لا يـزال مهذبـا   واقطع من كـل السيوف صقيلهـا
ومـا الشعر الا فطرة جـوهـريـة   يلجلج نحـوي الكـلام فصولهـا
يقولون (بنـاء) وتلـك فضيلـة   ومـا يزدري بالنـاس الا ذليلهـا
كفـاني فخـرا بالمعيشـة قـانعـا   ومـا الحـر بالارزاق الا جليلهـا
لحى الله من لم ينتقد عيب نفســه   وان وقرتـه عيشـــة يستحيلهـا

---

(٥) اشار الاستاذ مصطفى علي في مقاله المشار اليه آنفا ، الـى هذا الصراخ ووصفه قائلا :

هو صراخ منكر ، ظهر قبل الحرب العالمية الاولى واختفى بعـد اعلانها .. كنت اسمعه فأتلقاه بأقصى العجب ومنتهى الحيرة ، وانا الى يومي هذا ، كلما تذكرته وحاولت ان اجد له تأويلا ، او اتبين ما يـراد به اعيتني الحيلة . اقول انه صراخ منكر ، وايضاحه : انه بينما كـان البغداديون ناعمين في جوهم الهادي او مستغرقين في حديث طلي ، اذا بصبي يفاجئهم بما يعكر هدوءهم ويقطع عذب حديثهم ويفاجئهم بصـوت عال وبنغمة خاصة (لابو جير) لمك ، لابو جير لختك ، يا ابن الجـير لحبـه !!) ويمد صوته بالكلمة الاخيرة . ولا يكاد ينقطع صوته ، حتـى يجيبه ثان بمثل صراخه وهكذا الثالث والرابع ، حتى يمتلـىء الجـو صخبا وضجيجا يضيق بهما الصدور ، وتشمئز منهما النفوس .. هذا هو الصراخ الذي سجله البناء على اطفالنا ، بل على صبياننا في ذلك العهد »

الى م اعـاني الضيم من اهل بلدتي   وقصدي الى نهج العلى استميلهـا
فهيهـات فـي بغـداد للحر مكسب   يؤمـل منـــه راحـة يستنيلهـا
فسـر انت عنها ما بها قط صاحب   لقـد عافها (معروفها وجميلهـا)
سارحـل عنهـا غيـر مكترث بهـا   وان ساد فيهـا نذلها ورذيلـها
واهجرهـا هجـر العلى غير ناكث   وتجمعنـي بالعـز ارض بـديلهـا

قـرة العيـن

ونظم هذه القصيدة يرد بها على دعاة السفور ، ولكنه يفتـخر بنفسه قائلا :

دنـا اجل الفـراق فـودعينــي   وداعـا كـي تقربـه عيونـي

وقـال فيهـا :

انـا البنـاء مـن غيـر افتخـار   قضيت العمـر في مـاء وطنـي
بنيـت لهـم ورب البيـت مجـدا   على العيـوق مـن قلـم ونـون
اقـول الحـق لا اخشى المنـايـا   ولـو كـانت تـدور على يمينـي

ثم يرد على السفوريين قائلا :

يقـولـون القنــاع اذا تـدلـى   تصيـر البنـت في قيـد رهيـن
يقـولون القنـــاع اجـل خطـب   على الغيـداء واضحـة الجبيـن
يقولون القنـــاع لهـا حـرام   بـاي شريعـة وبـاي ديـن
لقـد كذبـوا وايم اللـه كذبـا   يشيـب لهولـه راس الجنيـن

ثم يبين فائدة الحجاب قائلا :

وجوه الغـانيـات بـلا نقـاب   تصيـد الصيـد في شرك العيـون
والحـاظ اذا نظرت عيـانـا   تخـل العقـل بالسحـر المبيـن
وان بـرزت فتـاة الخدر حرى   تقـود ذوي العقـول الى الجنـون
فيـا ذات البـراقـع قري عينـا   ولا تصغـي لاقـوال المجـون
ولا يغويـك مـن خبث خبيـث   ولا يغـريـك مكـر مـن لعيـن
دعـي ثـوب العفـاف عليك (باق)   وخلي عنك قـول (الفـرمسون)

الا هكـذا

انشد هذه القصيدة في احدى الحفلات الدينية التي أقيمت ابان اندلاع نيران الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ وهي التي مطلعها :

الا هكـذا مـن رام ان يتحـررا   يطـالب ومن يسكت يعش متأسرا

قال فيها :

نهضنـا فكسرنـا القيـود بهمـة   لهـا قد غدا جمـع العدو مكسـرا
نهضنـا الـى استقلالنا بتكاتـف   نعمـر مجـدا قبلنـا قـد تبعثـرا
نهضتنـا دار الرشيـد تبسمـت   ومغبرها قد عـاد بالجـد اخضـرا
فنحـن صناديد العراق ذوي العلى   وعنا سلوا كسرى الملوك وقيصـرا
ونحن علـى الحق اتفقنا لعلمنـا   بان اتفـاق العـرب يثمر جوهـرا
ففـاخر بنـا قطر العراقين دائمـا   ففـرسك يا قطـر العراقين اثمـرا
فيا اهل بغـداد المصونة واظبـوا   على الحق حتى يصبح الحق مزهرا
فمن مبلـغ عنـا بني العرب اننـا   (نحاول ملكـا او نمـوت فنعذرا)
وانا على رفع (الوصايـا) ونقضها   نصبنا لهـا وسط الجوامع منبـرا
بني وطني لا شـك بغـداد جنـة   شربنا بها من اعـذب الماء كوثـرا
بني وطني ان لم نجـدد عهودهـا   نخض فوقها بحرا من الموت احمرا
ولم اجـد الانسان الا ابن سعيـه   فمن كان (اسعى) كان بالمجد اجدرا
سميتم وطـالبتم بتحرير شعبكـم   الا هكـذا مـن رام ان يتحـررا

الـى الرصـافـي

لقد نظم هذه القصيدة جوابا على ما جاء في قصيدة الرصافي التي مطلعهـا :

هي المنى كثغور الغيـد تبتســم   اذا تطربهـا الصمصامة الخذم

تكريت

الى ابوي الثاويين في تكريت

★

ويح قلبي مما اكابد ويحي   بعد عشر ما زلت الثم جرحي
الصبا راح فالحنين التياع   والليالي مجنونة ليس تضحي
انكرتني الايام حتى استحالت   بسمة الفجر ليلة دون صبح
غير اني ابحرت والليل داج   والشراع الواني بقية لوح
كان نور الايمان يملأ قلبي   والنداء العظيم يعمر صرحي
((واحدا اثر واحد ودعوني))   لم امتع الا كأيما من لمح
ليت ذاك الوداع اثواب عرس   لا دموع جادت علي بسح
ايها الثاويان عذرا فما لي   غير ذكرى على الزمان ونوح
وارتداد الى براءة عهد   من بعيد يطل اطلال روح
حيث حامت على الجبال نسور   حاملات الى الذرى كل سفح
والسهول التي رواها ربيع   في جنان تستاف دفقة فوح
وابن ايوب اذ يعد السرايا   والعدو الباغي يلوذ بصلح
والفتوحات رحمة من سماء   بين بأس بالكافرين وصفح
والملايين صرخة في الروابي   رددتها الصحراء طعنة رمح
من مغير على العدو وحام   ارضه الطهر او رفيق وسمح
امة بارك الاله خطاها   يوم رفت في الارض اعلام فتح
البطولات كلها ذكريات   في ضمير التاريخ همسة نصح
والاماني حسرة قطعتها   في قلوب الظماء صفقة ربح
ايه تكريت والحديث شجون   انت نجوى قلبي واشواق بوحي
انت نور ابصرت فيه طريقي   انت ظل اما تقاصر دوحي
فيك جسدت امتي وبلادي   واستعدت الماضي وآمال نجحي
لست انساك ما حييت واني   يا وجودي من اجل ذاك اضحي

جامعة الكويت   احمد مطلوب

ولقد خاطبه البناء قائلا :

لبيت يا صارخا زمت به الازم   وزلزلت صبره الارزاء والنقم
فراح ينفث من انفاسه شررا   له شظايا بافق الشرق تحتدم
وسال دمع مآقيه على وطن   ثلت عروش حمى ابنائه القزم
فقام ينحت من ابريز فكرته   شعرا قوافيه مثل الدر تنتظم
هب اننا قد سمعنا ما نطقت به   من الكلام فهل يجدي بنا الكلم
فنحن طرا على ما انت تعهده   عمي البصائر في آذاننا صمم
لا نستطيع حراكا من تخاذلنا   وهل تلبي نداء الصارخ الرمم
(اخنى علينا الذي اخنى على لبد)   وعودتنا على حمل الاذى أرم

ثم يخاطب الاتحاديين الذين منعوا على العرب استعمال لغتهم قائلا:

يا ساسة الامر ان العرب ما برحوا   يبغون منكم حقوقا نابها العقم
فاعطوا لهم (لغة القران) ان بها   لهم مآرب اخرى فوق ما علموا
لم تطلب العرب الا حقها ابدا   فلا يبل اباط الجاهل السام
لطفا فما كنه (مشروطية) ظهرت   الى العباد اذا ما اهلها احتشموا
ومانكون هوىالشورى اذااجتمعت   ان لم يكن فيه للاصلاح مستسلم
ومانكون هوى الشورى اذا اجتمعت   ولم يكن للرعايا عندها ذمم
اليس فيها ينال الحق صاحبه   ولم يعارضه عند الحق مختصم

وبعد : فهذا هو الشاعر العصامي المرحوم عبدالرحمن البناء ، وتلك هي نماذج من شعره ، نرجو ان نكون في ما قدمناه للقارىء ، قد اعطينا تعريفا واضحا لهذا الشاعر الاستقلالي ، وهو ما نهدف اليه والسلام .

بغداد   عبد الرزاق الهلالي

ضاربة الودع

اسمالهـا الشبهات تصطفق ... ويلفهـا بجناحـه الغسـق
نصلت سدى اسمالها هرما ... حتى بـدت وكـانهـا مـزق
الفى بهـا الاعسـار متسعـا ... رحبـا يصـول بـه وينطلـق
وتفيـا الحـرمـان رفرفهـا ... وثـوى الاذى والجـوع والرنـق
اسمـالهـا خفقـت كفاشيـة ... مـن ظلمـة او انهـا طبـق
سـالت ذلاذلهـا مهلهلـة ... لا تستقـر كـانهـا القلـق
وتماسكـت اجـزاؤهـا فـرقـا ... وتكـاد بـالالحـاظ تنخـرق

قنعت بنـزر لا يسـد طـوى ... وجـرت مـع الحرمـان تستبق
تفتـر باسمـة ومـن عجب ... ايـامهـا الاوجـاع والحـرق
تسعـى ولا تنفك ضـاربـة ... دون الهجيـر وللظـى الـق
حمم الهجيـر على الربى عصفت ... والارض بالنيـران تحتـرق
وتظـل ضـاربة بغيـر هـدى ... وبكـل مفتـرق لهـا طـرق
كسحـابـة فـي الافق حـائـرة ... تطـوى وتنشـر وهـي تصطفق
عصفت بهـا الانـواء فاندفعـت ... تجري وحشـو اديمهـا نـزق

ودعـاتهـا كالـداء جاثمـة ... فـي كفهـا وتكـاد تلتصـق
الوانهـا مـن شقـوة نصلـت ... ولكـم دجـا من شقـوة يقـق
بقـع بـدت وكانهـا كلـف ... فـي صفحة بيضـاء تـأتلـق
ودعـاتهـا وثبـت مصفقـة ... فـي كفهـا تعـدو وتستبـق
بفمت بلحن يستثير شجـا ... كحشاشـة بـالآه تحتـرق
وتنـاثـرت فـوق الثـرى بددا ... مغبـرة وكـانهـا ورق

تتملـق الاغـرار فـي كـذب ... غجريـة بالـزيف تـرتـزق
والنـاس مـن شغف ببهرجها ... اذن تصيـح لهـا وتستـرق
تـروي لهـم قصصـا ملفقـة ... بالزيف والبهتـان تتسـق
فيخـف محـروم يسـائلهـا ... عـن خطـه وكـانـه شـرق
وبكـل جـارحـة لـه اذن ... تصغـي وقلـب واجـد صعـق
وتخف عـاشقـة مسـائـلـة ... بزفيـرهـا وتكـاد تختنـق
عبـراتهـا فـي الهـدب حائـرة ... وكـان لفـح ضرامهـا شفق

وتـزوق الاخبـار عـابثـة ... غجـريـة تغلـو وتختلـق
سبـرت ضميـر النـاس هاتكـة ... مـا تستـر الاطـواق والحلق
فـاذا الضمـائـر غيـر صافيـة ... اغوارهـا ومعينهـا رنـق
والناس فـي اطمـاعهم نسـق ... متشـابه ، واجـاجهـم غـدق
هـم في الاذى كالذئـب ليس له ... مـن زاجـر كـرم ولا خلـق

دمشق ... عدنان مردم بك

السقوط في حفرة اليأس

بقلم السيدة ضياء قصبجي

مثل الضباب انت .. مثل الضباب تأتي .. تتلاشى ذرات دقيقة .. تذهب .. تتلاشى ذرات دقيقة ... وانا احبك في المرتين .. وهما ضائعا ... حقيقة مدمرة .

انت .. ما انت ؟؟ ولم هذا الستار تختفي خلفه .؟

مزقه علني ارى وجهك الحقيقي ... نادرة هي الوجوه الحقيقية .. وغالية هي الوجوه الحقيقية .. ومفقودة هي الوجوه الحقيقية .

بالامس .. وانت في تلاشيك وضياعك .. بكيت .. اتعرف لماذا بكيت .؟ لاني اريدك ان تأتي ولااريدك ان ترحل .. لا اريدك ان تقترب . ولا ان تبتعد .. اصبحت مثلك غامضة ... ومثلك متلاشية .

في نفسي الغريبة .. امتزجت المعاني .. وانصهرت في بوتقة القلق .. اصبح لدي الحب والكره يتعانقان .. اصبح قلبي ممتلئا بالاحقاد الصغيرة .. والافراح الصغيرة .. أصبحت اكره الناس مثلما اكره نفسي .. مثلما اكره الكره ذاته .

يا ضبابي النظرات .. والافكار .. يا ضبابي المبادىء والحياة .. يا ضبابي .. يقتلني الغموض وفي الوقت ذاته ما ان تتوضح لدي الامور .. حتى اجدها سخيفة .. وسطحية .. لا بد انك تعرفني تماما .. تعرف اني اجري وراء حل الاحجيات .. وراء الالغاز .. ابحث عن التعب والشقاء .. لاتخذ فلسفتي من المي .. من ضيقي وقلقي .. وفي النهاية اجدان الانسان البسيط يصل الى غاياته بسرعة .. وانا لا اعرف نهاية الاشياء .. ولا اعرف بدايتها .. اعرف فقط ان الاشياء هي الاشياء .

انت يا وهما يدخل قلمي الضعيف .. المهتز مثل ورقة شجر خريفية .

انت يا نغماتعزفه السماء .. ومهما حاول العازف تقليده يفشل .. لانه لن يجد آلة العزف ولا الاوتار .. ولا الفكرة التي تدور في الرأس .

★

كنت ما ازال ممسكة بقلمي اكتب عنه .. واذا به يفتح الباب بمفتاحه .. لم اغادر مكاني .. ولم استطع مزاولة الكتابة .. تجمدت مكاني .. وقف امامي بكل روعته وجبروته .. وقال بصوته الذي يشبه معزوفة لم تعزف بعد ..

ـ اتسمحين .. ؟ قلت وانا اتطلع الى ما كتبت .

ـ كلا .

ـ تعجبني كتابتك .. وسأقرأ بالروح التي تفرضينها علي انت .. قارىء . زوج . حبيب . معجب . كما تريدين .

ابتسمت .. قدمت له ورقتي الدافئة .. من عواطف قلبي .. فليس من السهل علي ان ارفض له مطلبا .. هذا على الرغم من اني اقسمت على عدم الحديث معه .

اخذ الورقة .. جلس امامي ... اشعل سيجارة .. نفث الدخان ... قرا السطر الاول .. والثاني والثالث .. ثم رفع عينيه .. والقى بنظراته الكسلى .. المعاتبة .. الراجية .. المحبة في عيني .. تلاشيت من جديد . كرهت نفسي كثيرا .. احببته هو .. هذا الجدار الماثل امامي .. متى استطيع تهديمه ..؟ هربت من نظراته . وضعت راسي مرتاحا بين راحتي . وفكرت رفع وجهي باصابعه الرقيقة احسست



انني اتلاشى اكثر فاكثر .. كرهته .. كرهت نفسي .. كرهت كل شيء .. ثم عدت فأحببته . قال بصوت مؤثر :

ـ نعم لن ادعك تفهمينني .

ـ ولكني سأتعب .. بل تعبت .

تجاهل آلامي الكبرى .. تابع القراءة .. ابتسم من جديد .. قال :

ـ غامض انا .. لكنني احبك من ضمن غموضي .

ـ ولكن .. اين تذهب .. متى تأتي .. ؟ ما اسرارك .؟ في اية شبكة تعمل .؟ طفلتك .

ـ ايكفيك ان اقول لك .. انت امرأتي الوحيدة .؟؟

ـ لا يكفي .

ـ ايرضيك ان اقول العكس .

ـ ربما .. اذا كان حقيقة .

ـ هذه الحقيقة .. ليست موجودة .

...

هم بمغادرتي .. اضطرب قلبي .. قلت له متشبثة باذياله :

ـ الا تشرب القهوة ؟؟

ـ جئت كي اشرب القهوة .

ـ وبعدها ترحل .. وتسهر دون ان اعرف مع من .؟

ـ لا تكوني سطحية .. احب فيك هذا القلق .. وتلك الحيرة .. وذاك الغمض .

احتسينا قهوتنا .. كل ثانية تمر كنت اتذوق طعمها .. كنت انظر الى الساعة .. واتطلع اليه بنهم .. وكاني اتزود بالنظرات لفترة الغياب . انتهت القهوة . قال برقة :

ـ دائمة .. قلت :

ـ هنيئا .

هب واقفا .. اطرقت متألمة ... لماذا .؟ لماذا ؟ نحب من يحمل حقيبة السفر .؟؟

لماذا .؟ لماذا ؟ نتعلق بمن ينطق حروف الوداع .؟

سمعت خطواته تبتعد .. لم اقف معه خلف الباب مودعة .. كنت مذهولة .. سمعته يغلق الباب وانتشلتني طفلتنا من العذاب .. فذهبت اليها الاطفها .. وانا اجهل

مصيرها تماما .

في لحيظات ذكرت الماضي .. كيف اقتطفني من الجامعة .. وزرعني في بيته .. ذكرت حبه اللاهب .. وثورته .. ومستقبله .. وتفضيلي اياه . ذكرت تاريخ الزواج .

★

اتعبني الورد الاحمر .. بالامس اعتصرت باقة .. جميلة .. انتقمت من الباقة .. فوجدت ان هذا من السخف بمكان .. ليست مذنبة .. الغموض .. كيف السبيل الى حله .. اين ومن .. وكيف .. مع من .. وكل الاسئلة .. اسأل بها .

جلست في معركة حاسمة بين قوتي وضعفي .. اني ارفضه بعد اليوم .. نعم لست اريد هذا الرياء .. لست اريد هذا الستار .. انني ابحث عن وجهه الحقيقي .. واذا لم اعثر عليه .. فانني سأضيع وجهي .

تعبأت بالحقد .. شحنت بالقوة .. بالمجابهة .. كنت في اشد الجمال عندما حان اقتراب موعده .. لست ادري لماذا اخترت اجمل الاثواب .. ووضعت اروع الكحل .. ربما اني اردت التأثير عليه بجمالي ايضا .. ربما اني اردت ان اكون قوية .. وان يتخاذل هو امام جمالي واصراري .

نظرت الى الساعة .. اقترب موعده .. نعم بيته هنا لكنه لا يأتي الا بموعد .. لقد اقنعني بأن الفنان لا يمكنه ان يكون رجلا حقيقيا .. بل هو غيمة معبأة بالمطر .. تغيب صيفا تمطر شتاء .. وافهمني ان الفنان يحب زوجته كضرب من ضروب فنه وابداعه .. وان زوجة الفنان عليها ان تداري شعوره ، ولقد اهتممت بلوحاته .. شاركته صبغ الالوان .. صنعت له « ديكور » معرضه .. انتقيت له اطر اللوحات .. اعطيته ملاحظات استفاد منها .. تجاهلت تهافت المعجبات عليه .. واخذهن توقيعه . ولكن كيف اتجاهل حقوقي ... كيف اقوم بأود الحياة بمفردي .. كيف ادعه للفن .. وانا اغرق في العادية . والمسؤولية لوحدي ؟؟ لا لم اعد اطيق صبرا عليه .

فتح الباب بمفتاحه .. انتفضت من خلف الباب قائلة :

ــ من فضلك اعطني المفتاح .. في امكانك ان تقرع الجرس عندما تزورني مرة اخرى .

ــ اتقولين هذا .. وقبل ان ادخل .. ما رايك بجلسة وداع مع فنجان قهوة حزين كلونه ؟؟

حزت في نفسي كلمة الوداع ...



ضياء قصبجي

●

شحذت قوتي وهمتي .. قلت خجلة :

ــ تفضل .. لم تزل والدطفلتي .

ــ يبدو ان المحاكمة مع نفسك مريرة اليوم .

ــ دعك من هذا .. لقد صممت على الفراق .

ــ نهائيا ؟؟ حتى ولا تسمحين لي بزيارة .؟

ــ قد اسمح ولكن دون مفتاح .

كنت فظة نوعا ما .. اتكلم بتحجر .. وتصنع .. اريد ان انهي الموضوع قبل ان اتراجع عن تصميمي . وكان رقيقا لطيفا .. عيناه تنطفآن بالهوى المبرح .. ولكن عذابي .. كان اكبر .

اخرج المفتاح من جيبه .. تأملت .. قدمه لي برقة ، قائلا :

خذيه .. بسببه كنت اعيش اروع لحظات حياتي .

رايته دامع العينين .. انفطر قلبي قلت : اني اغامر .. قد يكون هناك مجال للتفاهم سألته :

ــ هل في امكانك التفاهم . قال بثقة :

ــ لست على خلاف معك في شيء .

ــ انا ايضا موهوبة .. وليس في امكاني ان اقوم بمسؤولية البيت لوحدي .. انظر يدي انظر . لقد كنت احمل اجمل يدين .

مسك يدي احسست اني اذوب كقطعة سكر في كأس شاي .. حار . قال :

ــ احب يديك المتعبتين .

ــ اتوسل اليك .. ساعدني على الفراق .

ــ فلتساعديني انت .. انا الضعيف .. انت القوية .. انا المفروض علي الفراق .. انت المختارة له .

ــ بل مكرهة .. مكرهة .

ــ اعدك بان نتفاهم على كل شيء ولكن ليس اليوم .. دعيني اتمتع بجمالك .. انت اليوم ساحرة .

وعشنا ساعات سعادة لا توصف .. اعاد الي الحب من جديد .. اعاد الي الثقة ، وباقة الزهر المسحوقة .. اعاد البريق .. والعبير .. والابتسامة .. وكل الجمال .

خرج في الصباح .. بعد ان قبل طفلتنا الصغيرة . وبعد ان مسح بيده على شعري . كنت سعيدة مغتبطة .. اليوم سنتفاهم على الحياة المشتركة الجميلة .. اليوم سيتغير .. انه يحبني حقا .. والدليل انه سيتخلى عن كل اشيائه .. ويأتي الي حاملا في يده سلة

شلت يميني

ضربت ابني نزارا لذنب اقترفه ، وكان في ذلك اليوم القائظ من شهر تموز قد تعرض مدة طويلة لحرارة الشمس ، فاصيب بالرعن (ضربة الشمس) ، فظننت ان ضربي اياه كان سبب الحمى التي انتابته . فنظمت الابيات الاتية على الفور ، قبل وصول الطبيب واعلانه ان الشمس هي سبب الحمى . وفيها تحذير شديد للآباء والامهات من ضرب اولادهم .

شلت يمينيالتي انهالت علىولدي ... لطما ، فيا ليتها انهالت على كبدي
يا ليتها بترت ، من قبل ان رفعت ... على نزار ، هزار المنزل الفرد
ماذا دهاني حتى رحت اوسعه ... ـويحيـ بلارحمةضربا علىالجسد
ما دار في خلدي اني سأوجعه ... لما رفعت يدي ، ما دار في خلدي
اكاد حين ارى الآلام تغلبه ... على تجلده ، اقضي من الكمد
حبست دمعي حتى لا يرى هلعي ... لكن دمعي جرى بالرغم من جلدي
كأن في راحتي قلبي ، فمذ شقيت ... بضربه ، عافها قلبي ولم يعد
فجد بعفوك يا ابني ، لن اعود لها ... مهما يوسوسلي الشيطان ياسندي
هيهات ينجح في كبت الحنان اب ... لولا فتاه لأودى قبل فجر غد

اني اذا حان حيني غير مفتقد ... لانني خالد في الشعر والولد
ان البنين همو معنى الحياة ، فان ... تجردت منهم ، كانت بلا رغد
وهم سراج رشاد المرء مؤتلقا ... لولاه لاقتحم الدنيا بلا رشد
والدهر ان جاد بالاموال طامية ... وضن بالنسل ، فالخداع لم يجد

محمد العدناني

معبأة بالحاجيات اليومية .

اقترب موعد مجيئه بعد انتظار لاهب .. بعد ان تحولت الى زهرة فواحة .. واسطوانة راقصة ... تحولت الى بحر سعادة .. الى ينبوع حب .. وشجرة كرامة .

تهيأت لاستقباله .. بكل دمي واعصابي .. وحبي .. لبست له ثوب الزفاف الابيض .. فاليوم عيد زواجنا الاول .. سيفاجأ بهذا وستفرحه هديتي .. وسنبدأ معا من جديد .

حان موعد مجيئه .. قرع الجرس .. تنبهت لحقارتي .. انا التيطلبت منه المفتاح . ولم اذكر فأعيده له . هرعت افتح له .. فتحت .. واذا بانسان آخر .. انسان غريب كدت اعانقه لظني انه زوجي . انسان جلف يشبه « الشيطان » عندما تراجعت قال لي :

ـ لقد ارسلني الاستاذ (عابد) لاؤمن لك حاجياتك .. ولقد دفع لي كل شيء .

سقطت في حفرة اليأس .. اغلقت الباب في وجهه . قلت :

ـ لست في حاجة اليك ابدا .

بحثت عن المفتاح .. وضعته في قبضة كفي . ولا اعرف لماذا ؟ تطلعت اليه . خيل الي انه يتكلم .. ويلومني .

لقد فات الاوان .. ولم اكن اعلم حتى اليوم .. اني كنت احيا من اجل لقائه فقط . وكانت حياتي مليئة بالورود والافراح . والبن الطازج . اليوم احسست اني شيئا مهملا .. ملقى في سلة . احسست اني في حاجة اليه .. الى حبه وغموضه واسراره .. معي ..

اني انتظر رنين الجرس . كل ثانية الف مرة .. لكني اعلم انه لا يقرع الجرس .. وهو رب هذا البيت . اعلم انه لن يعود .. هو الذي وقفت البارحة امامه اطلب منه ان يقرع الجرس كالغريب .

كم نخطىء في فهم انفسنا ؟ كم نحطم قلوبنا بايدينا ؟

ولماذا عرفت الان فقط .؟

ان الاشياء الراحلة .. هي التي تبقى وان الضباب .. هو الذي اعبد ..

حلب ... ضياء قصبجي

عيد الامين

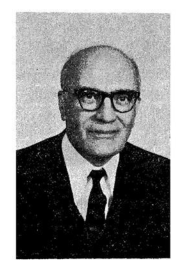
بعيدك يزهو منبر الشعراء   ويدنو قصي الوحي دون عناء
ويجتمع الشمل الشتيت ويلتقي   بناة صروح الضاة بالفرباء
يحييك هذا اليوم رقص جوارح   وخفق قلوب اترعت بهناء
تحييك يا رب الروائع امة   وفاء لما قلدتها بسخاء
ألست الذي اثرى نفائس مجدها   وزودها من روحه بعطاء
اليك اديب العرب اهدي تحية   ومن قلب حر لا لسان مرائي
تحية من اعطى لمجدك حقه   وبادل ودا خالصا بوفاء
تحية من يقتات من ذكرياته   فيمزج دمعا هادرا بدماء
وما الود يحدوني لمدحك انما   وجدتك فذا يستثير ثنائي
وجدتك ضخم المجد ، في قمة العلى   ومجدك منسوب لكل عناء
تساميت ، بالكد المبرح دون ان   تمد الى العلياء كف رجاء
تصاغرت الالقاب عنك فلا تكن   اميرا على قوم سوى الامراء
فللفكر اقداس ، وللفن حرمة   وللشعر سلطان وسيف مضاء
ايا شاعر الحب الانيق سحرتنا   بوجدك اذ يبدو بثوب بهاء
تغني به الالفاظ وهي طروبة   فاكرم بالفاظ ذوات غناء
تخدر حتى بالشميم نفوسنا   وتنعم من السنا بسناء
حديث « عناق الاشرفية » لم يزل   مثيرا ، شديد الاسر للندماء
عناقك ادى للشباب حقوقه   وللشعر اهدى منحة الكرماء
فما الحب الا الثغر بالثغر يلتقي   ورشف رضاب لا حديث جفاء
بكيت على الاحباب يوم تساقطوا   فعادوا الى الدنيا بشعر رثاء
ألست الذي اهدى رياضا (١) قصيدة   مضرجة بالدمع والبرحاء
منحت بها حق الصديق وزدته   بحق الذي امسى مع الشهداء
وصورته روحا وجسما وقد بدا   لريشتك الفراء كل خفاء
وفي النثر ضاهيت «ابن بحر» (٢) ولم تكن   سوى ساحر امسى بلا نظراء
فلو وضعوا اسم ابن بحر على الذي   كتبت لاثرى صاحب « البخلاء »
« مفكرة ريفية » قد نفثتها   فصارت سماء الوحي للبلغاء
جلوت بها لبنان في حسن ريفه   وما فيه من عطر وعذب هواء
واطلقتنا بين الرعاة لنرتوي   من النبع كي نشفى بجرعة ماء
وفي «خيمة الناطور» نمنا على الثرى   يهدهدنا ناي ورجع غناء
وسرنا على عشب الحقول بضيعة (٣)   سماوية في المجد ذات ثراء
تدل علي كل الضياع بكونها   تضم رشيدا (٤) كعبة الشعراء
امير المعنى الحلو دون منازع   وان ضيم لبنان فليث اباء
ابوك الذي اهدى امينا لعصرنا   فكان بحق اكرم الكرماء

بغداد

حارث طه الراوي

---

* اعدها لمناسبة المهرجان التكريمي لامين نخلة الذي كان من المؤمل اقامته في لبنان سنة ١٩٧٣ فحالت دون اقامته ظروف قاهرة . (١) رياض الصلح (٢) الجاحظ (٣) الباروك (٤) رشيد نخلة والد امين .



سعيد ابو الحسن

تحديد المواقف

بقلم سعيد ابو الحسن

* * *

اما الان وقد تعرفت الى مدرستي وتلاميذي ومشاكل كل واحد منهم والى مشاكل التربية بعامة والتيارات التي تتصارع لفرض سلطانها على الجيل الصاعد ، فقد بات في امكاني تحديد مواقفي من شؤون الحياة العامة المختلفة : هل ساكون معلما فقط ام ساكون مواطنا قبل كل شيء ؟ هل سارضى بما هو قائم ام ساحاول تغييره ؟ هل سأركع امام الصعوبات ، ام سأصارعها فأصرعها ؟. هل ؟ وهل؟ وهل ؟

لقد سبق لي ان اتخذت موقفا لا لبس فيه من الحركة الوطنية فأنا مع هذه الحركة ضد الانتداب ، وانا مع شباب هذه الحركة بصورة اوضح ، من اجل احداث التغيير اللازم في المجتمع : فلا يمكن جلاء المحتل اذا لم يضعف انصاره ، اذا لم تهز اركان وجوده . ولقد شاركت في الاجتماعات والقيت الخطب واعلنت رأيي غير حاسب حسابا لما سيكون لهذا من تأثير في موقف السلطات مني. فانا اعتبر نفسي مواطنا عليه ان يخدم بلده ، وليغضب من يشاء ، ولينفجر من يشاء .

ساكون مناضلا في جميع المجالات وبجميع الوسائل المتاحة داخل عملي وخارجه على السواء . كانت هذه الافكار تتفاعل في نفسي ، وبخاصة حينما اكون في غرفتي المنفردة الهادئة . وفي احدى الليالي ، استيقظت حوالي منتصف الليل على بقايا حلم رايت نفسي فيه اناجي صوتا ويجيبني ، فرفعت ضوء القنديل واوقدت النار واخذت ورقا وقلما وسجلت في سرعة غريبة هذا الحوار الشعري بيني وبين الصوت وجعلت عنوانه « انا والصوت » ـ وارخت القصيدة ساعة الانتهاء منها ـ ٢٥ ـ ١١ ـ ١٩٣٧ ـ وهذه هي :

انا والصوت

في هجمة الليل الحنون الظليل ـ والكون لاه بمناجاته
الله ـ اذا صوت حزين عليل ينفص العيش بآهاته
ويفسد الجو على القانتين

انا :

« ويحك ، يا صوت ، ألم يكفنا بكاء هذي الانفس الآثمه
حتى اتيت اليوم ذا ارضنا تذري بها آهاتك القاتمه
تسترجع النوم من النائمين ؟»

الصوت :

« يا شاعرا يلصق بالارض ويرضى بالحياة بين البشر
قم وانج من سجنك، يا شاعر، من قبل الفوات قبل السحر
قم وانج ، واصحبني ، والليل بهيم ، وهات قيثارة الكدر
نرسل في ذا الجو من الحاننا الخالدات ما يحزن الحجر»

انا :

« انا بالارض لاصقا ، انشر الافراح حولي ، يا صوت ، ارفع منكا
لست ارضى تلك الانانية الصفراء حتى أسيح في الجو معكا
لست ارضى بترك اخواني الناس صراعى من النوائب هلكى
بل بشعري الطروب امسح دمعا وغنائي الشجي اطرد ضنكا .»

الصوت :

« انك يا شاعري لفريب الطباع
كم شاعر جاهل مثلك قد ضاع
حاول تخفيف ما يجري بلا انقطاع
فلم يكن نصيب اتعابه الا الضياع
قم غن « ليلاك » الغرام واترك النزاع
فالارض لا يصلحها ، يا صاح ، رعف يراع»

انا :

« ما حاول الشعراء قبلي محو آلام البشر
الا بحزن او بضعف او بوصف الضجر
انا شاعر الافراح والقوة والامل النضر
لا امسح الدمع بدمع مثله قد انهمر
بل بحواشي النور تبعث في دجى قلب كسر
انا لا اعزي الضعف بالضعف الكذوب المبتسر
بل ابعث القوة في النفس وفي القلب الكبر
لا اطرد الملل الكئيب بوصف آفات الدهر
بل بالاماني الخضر انشرها ـ بها قلبي زخر

« والان ، يا صوت ، اصغ اسمعك رايي في الغرام
ما الحب الا بسمة تنير اكناف الظلام
سعادة يحسها الشاعر رغد وسلام

● مقتطفات من مؤلف يضعه الكاتب بعنوان « نيران على القمم » وهو يتضمن سيرة حياته .

ترنيمة يزفها الصبح الى باري الانام
انشودة النصر البهي ونشوة تحيي العظام

« ليلاي ؟ لم ابكي ولم اشكو ؟ اذا كانت تنام
قريرة العين على جبينها يطفو ابتسام
في نفسها سعادة لها ، واخرى لي ترام
فما لنا نبكي اذا كنا نبات على وئام
وان نأت عني اقل سر ، يا ملاكي ، بسلام
ان كنت تسعد عند غيري فاذهبن ـ فلا تلام
ظلم اسار النفس والشكوى ، اذا انطلقت ، حرام
ولكل جرح « صادق » ، يا صوت ، بالصبر التئام !..»

لقد سجلت مواقفي وقيدت نفسي بها فانا : مع القوة ضد الضعف ، مع الامل ضد اليأس ، مع الفرح ضد الحزن ، مع القائلين بفائدة القلم وفاعليته ضد القائلين بعكس ذلك ، مع قوة الارادة والكبرياء (بمعناها المحمود) ضد الخنوع والاستسلام .

وحددت موقفي من العواطف ، من الحب بصورة خاصة ، فأنا صوفي الحب ، غيري السعادة ، احرص على سعادة من احب فوق حرصي على سعادتي . اما هذا التسامح الوارد في الابيات الاربعة الاخيرة ، فلا بد ان القارىء الذي رافقني حتى الان يدرك انها اما تعزية عن حب قديم مستحيل ، واما توطئة لاحتمال الفشل في حب جديد بدأ يبرعم في قلب خلق للحب الشامل ولقي الكثير من الخيبة في التفاصيل ، فسما الى آفاق الشمول مترفعا عن مستنقعات الجزئيات .

وقبل ان تنتهي السنة الدراسية كنت قد طرحت على نفسي هذا السؤال المصيري « ما شبابي ؟ ـ ما معنى ان اكون شابا في بلد محتل ، شعبه منكوب ، يتلوى على ضرام العذاب . » واجبت بهذه القصيدة التي نشرت في جريدة الاستقلال العربي بدمشق عام ١٩٣٨ :

ما شبابي ؟...

ما شبابي ؟ اذا تماديت في الضعف وصار الخنوع ملء اهابي
ما شبابي ؟ اذا اكترثت لتهديد وامر من الامور الصعاب
ما شبابي ؟ اذا ثناني عن العزم مصاب يجيء اثر مصاب
ما شبابي ؟ ان لم تكن في عروقي ثورة تغمر الملا بالشباب
ما شبابي ؟ اذا رضيت لنفسي ان تكون السماء فوق طلابي
ما شبابي ؟ ان لم ترافقني الآمال في بسمتي وفي تصخابي
ما شبابي ؟ قولوا ، اذا حارب الدهر بلادي ولم اضح شبابي
ما شبابي ؟ اذا قضيت ليالي مكبا على الملاهي العذاب
ونسيت الالام ، آلام شعب يتلوى على ضرام العذاب
ما حياتي ؟ ما لذتي ؟ ما شبابي ؟

الحق اقول ، انه لو كان علي ان اطرح السؤال على نفسي اليوم ، وامتي في ذروة الصراع ، لما اجبت باحسن مما اجبت آنذاك . وقد انتشرت القصيدة في ذلك الحين حتى لم يبق في المحافظة معلم او تلميذ الا حفظها ورواها واستشهد بها .

والانتماء القومي ، والتطلع الى عودة الوحدة العربية حاملة ما يفتقر اليه العالم من مزايا انفردت بها الامة العربية التي يجب ان تعود فتؤدي رسالتها في عالم جديد (في دنى اصبحت من حديد) ، بعد ان افل نجم العروبة من سمائها ، ذلك ايضا كان بحاجة الى ان يسجل وان يحدد الموقف منه ، فكانت هذه القصيدة التي نشرت في الاستقلال العربي في ١٣ ـ ٧ ـ ١٩٣٨ :

نشيد السنابل

يا نشيدا ، سنابل القمح غنته على مسمع الضحى المفتون
رجعته الآفاق ترجيع اعجاب بما فيه من شجى وحنين
وتهادت له الطيور سكارى حالمات بما مضى من سنين

في رباانا ، سنابل القمح قالت ، منشدات في ثورة وجنون:
« يا عروس الاحلام ، يا منية النفس ، ويا بهجة السنا في عيوني
أنت ، يا مجد امتي ، مرقص الكون ازدهارا على ممر القرون
عد الينا ، بالعز ، يا مجد ، والعدل أعده للعالم المغبون
وابعث الروح في دنى من حديد أصبحت ، بعد عهدك الميمون
انقذ الكون من دياجير دنيا ما تعزى صارت بغير الانين

ثم تتكرر الابيات الثلاثة الاولى . وكان الفرنسيون قد بدأوا يراقبونني منذ ان مر بمدرستي الضابط الفرنسي على راس سريته ورآني العب مع تلاميذي لعبة الحرب التي وصفت سابقا ، ومنذ ان نشرت في «المكشوف» سلسلة مقالاتي عن التربية وما تحتاج اليه من اصلاح في العهد الاستقلالي الجديد ، ومنذ بدت قصائدي تنشر في جريدة دمشقية معروفة باتجاهها الوطني والقومي . فاستدعاني المستشار الاداري الفرنسي السيد برونو، وكان مستشارا للمعارف بالوقت ذاته ، وخاطبني بما مؤداه :

ـ « انك تزعجنا . يجب ان تعلم اننا ما زلنا هنا . وما تتوهمه من استقلال وحرية لايجوز ان يتجاوزنا . لقد قررت نقلك الى السويداء، ليس من اجل الترفيه عنك، بل من اجل وضعك تحت الرقابة المباشرة للاجهزة المختصة. وقد فكرنا في تأسيس مدرسة زراعية في الكوم ـ مكان قريب من السويداء ـ بعيدا عن المدن والقرى ، وان نعينك مديرا لها ، لتوجه نشاطك الى الارض بدلا من توجيهه الينا . ولكن المشروع لم ينفذ حتى الان ، لذلك احسب حسابك انك ستنتقل الى السويداء ، ومن الان الى بدء السنة الدراسية الجديدة الزم الهدوء . والا .. »

اذن ما زال الاستقلال وهما محضا ! اذن ماذا صنع لنا المجاهدون بعد عودتهم من الصحراء ؟ سأجيبك ، يا سيد برونو ، ولكن ليس بيني وبينك هنا، بل على صفحات جريدة يزعجك مرآها فضلا عن محتواها . وتابعت النشر في « المكشوف » تارة باسمي الصريح ، وطورا بتوقيع (هو ـ من العصبة المتمردة) ـ ومن يعد الى اعداد المكشوف عامي ١٩٣٨ و ١٩٣٩ يجد كل مقالاتي هذه . وكان جوابي المباشر للسيد برونو هذه القصيدة المؤرخة في ٢٤ ـ ٨ ـ ١٩٣٨ :

رثاء الشاعر العراقي خاشع الراوي

●

اخا البين هل الفيت من قبلك امرءا   سرى الركب الا انه ظل ثاويـا
كذاك دأب الناس مـن عهد آدم   الى يوم يضحي ما سوى الله فانيا
وما كان هذا المـوت خبطة خابط   بظلماء لا يلفي بهـا القوم هـاديا
ولكنه قـد سنـه اللـه للورى   كما سـن ايامـا لهـم ولياليـا
فكـل قوي سـوف يصبح عاجزا   وكـل جديد سوف يصبح باليـا
وكل اخي سـن ضحوك سينتهي   وقـد بـذ بالنوح الايامى البواكيا
وكـل بنـاء سـوف ينهار ركنه   يد الله ما ان قلت قولي مغـاليا
فما اكثر اللائي فتـن ذوي النهى   وعدن كمـا يكسو الهباب الاثافيا
ويا رب ذي مال وقد حيل بينـه   وما يشتهي اذ بـات غرثان طاويا
ويا رب ذي سيف يناشد ذا عصا   ليـدرأ يـوم الروع عنه العواديا
وانت خبرت الدهـر خبرا ورزته   فهل كان الا اغبن الناس شاريـا
لعلك بعـد المـوت قد زدت حكمة   وعلما وادركت الامـور الخوافيـا
فلـو جئتنـا كنت المفـوه واعظا   لتقـرع منا كل من كان غاويـا
كدابـك اذ كنت الجـريء مقالـة   ترى الله اما قلتها عنك راضيـا
وقد كنت برا قـل فينا نظيـره   وقد لا نـرى فيمن نرى لك ثانيا
فما كنت الا بالفضيلـة كاسيـا   ومن كل ما يخزي اخا النبل عاريا
وما خفت ايـام الزمان وان دجت   عليك دياجيها ولا كنـت شاكيـا
فتى كملـت اخـلاقه وخـلالـه   فكـان كأغلـى كـل ما ظن غاليا
دريت الوفي العهـد فينـا وانـه   على نحو ما قد كنت من قبل داريا
وتلـك مراثيـك الروائع قد غدت   دليـلا لنـا ان نحن قلنا المراثيـا
فلو لم تكن علمتنا الصبر قرحت   مدامعنـا مما بكينـا المآقيـــا
لعمـرك ما هذي القبـور سواكنا   لمستكنـه اسرارهـا والمغازيـا
يحدثننـا ان الحيـاة معـارة   الـى اجـل مهما نأى كان دانيـا
حقائـق لا تلفـي هنـاك غافـلا   تجاهلهـا او نـابه الرأي واعيـا
وكنت مدى الايـام تروي لناسها   رواية مـن لم يكذب الناس راويا
« تعـز فلا شيء على الارض باقيا   ولا وزر ممـا قضى الله واقيـا »

بغداد ـ جامع الخلفاء   الشيخ جلال الحنفي

بيتـــك اللـه !...

حاولي ، يا خطوب ، ان تهدميني   بينك الله ، يـا خطوب ، وبيني
فرحي ، قوتي ، أمـاني ، سور   شـامخ في عتوه يحميـــني
خـاب ظن الزمـان ان ظـن أني   ظلمـه عن مقـاصدي يثنيـني
ثـورتي لا تنـام للفشل الآثم ، لن يسمع الانـام أنيني
كيف أخشاك ، يا خطوب ، وعندي   لليـالي اللقـا أشد يمين
ولسود الايـام عندي شبـــاب   ســاطع نـوره كنور اليقـين

حددت مواقفي ، وقيدت نفسي بما كتبت شعـرا ونشرا ، وانطلقت كالسهم ، لا اخشى عقوبة ، ولا التفـت الى تهديد ، ولا ارى الا هدفا اسعى اليه ، وغاية اطلـب تحقيقها ، ويجد القارىء الكريم تفاصيل كل ذلك فيثنايا هذا الكتاب ...

دمشق   سعيد ابو الحسن



محمد عبد الغني حسن

شخصيات واحداث عربية يقترح الاحتفال بها خلال ١٩٧٥

بقلم محمد عبد الغني حسن

* * *

سبق ان قدمنا للنشر في مجلة « الاديب » ثبتا بطائفة من الشخصيات والمناسبات العربية التي تقع في خلال عام ١٩٧٤ ، والتي لا يجوز اغفال الاحتفال بها واحياء ذكراها على مستوى العالم العربي كله . واليوم نقدم طائفة اخرى من الشخصيات والمناسبات العربية التي تقع في خلال عام ١٩٧٥ تذكيرا للناس بها ، وحثا للامة العربية على الحفاوة بها ، وها هي ذي :

١ ـ ابو هلال العسكري : الاديب الناقد المشهور وصاحب كتاب « الصناعتين » . توفي سنة ٣٩٥ هـ فيكون قد مر على وفاته الف عام بالتاريخ الهجري .

تلقى ابو هلال العلم في بغداد ، واصبهان والبصرة ، له من الكتب : « جمهرة الامثال » و « ديوان المعاني » و « كتاب الصناعتين » اي صناعة النظم وصناعة النثر ، و « المصون » في الادب ، و « كتاب الاوائل » ، وقد اختصره الامام السيوطي المصري في كتاب « الوسائل » . ولابي هلال ذوق ادبي مرهف في النقد ، وحس ادبي رفيع في الاختيار ، وغوص بعيد على النوادر والاخبار والآثار .

٢ ـ احمد بن فارس : اللغوي ، الاديب ، المفسر .

توفي سنة ٣٩٥ هـ فيكون قد مر على وفاته الف عام بالتاريخ الهجري . شارك في علوم شتى . فلم يقتصر على اللغة العربية وفقهها ، بل تعدى ذلك الى الفقه والادب والشعر . ولقد بلغ من كثرة اسفاره وتنقله في البلاد انه نسب الى اكثر من موضع ، فهو يمثل العالم العربي جواب الارض . وكان له اهتمام خاص بتربية الهررة ومعاشرتها . وفيها يقول :

اذا ازدحمت هموم القلب قلنا — عسى يوما يكون لها انفراج
نديمي هرتي ، وسرور قلبي — دفاتر لي ، ومعشوقي السراج

وقد رجعنا في تاريخ وفاته سنة ٣٩٥ هـ الى اصح الاقوال ، كما ذكره السيوطي ، وابن كثير وياقوت . ومن كتبه : « الاتباع والمزاوجة » وقد نشره المستشرق رودلف برونو سنة ١٩٠٦ ، و « سيرة النبي صلى الله عليه وسلم » ، وقد نشر بالجزائر سنة ١٣٠١ هـ ، كما نشر في بمباي سنة ١٣١١ ، و « الصاحبي في فقه اللغة » وقد نشر بمطبعة المؤيد سنة ١٣٢٨ ، و « متخير الالفاظ » وقد حققه ادق تحقيق الاستاذ هلال ناجي (١) و « المجمل » وقد طبع الاول منه سنة ١٣٣١ هـ ، و « جامع التأويل في تفسير القرآن » ، و « معجم مقاييس اللغة » وقد نشرته القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ بتحقيق الاستاذ عبد السلام محمد هارون .

٣ ـ الجمعية الجغرافية بمصر : تأسست سنة ١٨٧٥ ، فيحتفل عام ١٩٧٥ بمرور مائة عام على انشائها . وكان اول رئيس لها عند انشائها العلامة شواينفرت الالماني ، ووكيلاه العالم محمود باشا الفلكي ، والجنرال ستون باشا ، وكان امين سرها المركيز كومبيان . وتولى امانة سرها بعده العلامة جلياردو بك صاحب « مجلة مصر » الفرنسية . وكانت اعمال الجمعية تنشر باللغة الفرنسية في كتب ونشرات تعد مراجع في علوم الجغرافية والرحلات .

٤ ـ ضمت الجامعة الاهلية ، او الجامعة المصرية القديمة ، الى الحكومة المصرية سنة ١٩٢٥ م ، وقد كانت قبل ذلك التاريخ جامعة اهلية . وادمجت فيها مدرستا الطب والحقوق ، فيكون قد مر على ذلك الضم خمسون عاما . وهي مناسبة طيبة للاحتفال بها بعد ان استقام لها ذلك الكيان الحكومي الذي دعم مركزها ، ورفع منارها .

٥ ـ الشيخ محمد شريف سليم : ولد بالقاهرة سنة ١٨٦١ م ، وتوفي بها سنة ١٩٢٥ ، فيحتفل سنة ١٩٧٥ بمرور خمسين عاما على وفاته . تعلم الشيخ شريف بمدارس القاهرة الاولية ، ثم دخل الازهر ،

(١) ونشرته مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٧٠ .

والتحق بدار العلوم ، وتخرج فيها سنة ۱۸۸۸ م ،وانتدب للسفر الى فرنسة مدرسا للغة العربية لطلبة البعثة التعليمية المصرية بمدينة ميلون الفرنسية . ونال شهادة في التدريس من هناك ، ولما عاد الى مصر عين مدرسا بدار العلوم ، فمفتشا للغة العربية ، فناظرا لدار العلوم ، واشترك في مؤتمر المستشرقين المنعقد بروما سنة١٨٩٩ وكانت له مكتبة حافلة بالكتب .

ومن مؤلفاته : « رواية الجاهل » و «المترادفات » و « علم النفس » و « مجموعة من النظم والنثر » بالمشاركة ، و « شرح ديوان ابن الرومي » ولم يكمله ، و « ملخص تاريخ الخوارج » .

٦ ــ الشيخ احمد الاسكندري : ولد في الاسكندرية سنة ١٨٧٥ ، وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٣٨ ، فيحتفل سنة ١٩٧٥ بمرور مائة عام على مولده .

تعلم بالازهر ودار العلوم ، واشتغل بالتدريس ، وكان حجة في المسائل اللغوية وفقه اللغة وتاريخ الادب العربي . وكتابه : « الوسيط » مشهور معروف ولا يزال الى الان مقررا في بعض البلاد العربية لوجازته ودقته وضبطه . اختير عضوا بالمجمع اللغوي منذ نشأته ، وكان من كبار الثقات فيه هو والشيخ حسين والي ، وعلي الجارم ، واحمد العوامري . له من الكتب : « تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي » و « نزهة القارىء » و « الوسيط في الادب العربي » بالمشاركة و « مذكرات في فقه اللغة » و « انتقاد كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام » و « انتقاد كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان » .

٧ ــ عبد الغفار الاخرس : الشاعر العراقي ــ ولد في الموصل سنة ١٨٠٥ ، وتوفي بالبصرة سنة ١٨٧٥ . فيحتفل سنة ١٩٧٥ بمرور مائة عام على وفاته .

نزح من الموصل الى بغداد ، واتخذها موطنا له ، وسكن بالكرخ ، وتعلم على ابي الثناء الالوسي وغيره . وتقرب من داود باشا حاكم بغداد ، وصادق كثيرا من الولاة والعلماء والادباء . وارتبط مع زميله عبد الباقي العمري بمودة خالصة . ولم يكن يعنى بجمع شعره ، فجمعه بعد وفاته احمد عزت العمري ، واسماه : « الطراز الانفس في شعر الاخرس » وطبع في القسطنطينية سنة ١٨٨٦ .

٨ ــ سليمان البستاني : مترجم الياذة هوميروس .

ولد في احدى قرى قضاء الشوف بلبنان سنة ١٨٥٦ وتوفي في اميركا سنة ١٩٢٥ ، ومنها نقل جثمانه الى وطنه . فيحتفل في عام ١٩٧٥ بمرور خمسين عاما على وفاته .

تعلم في المدرسة الوطنية بلبنان ، وحذق العربية والانجليزية والفرنسية ، واحترف التعليم زمنا ، ثم اشتغل بالصحافة تارة ، وبالتجارة اخرى . كان كثير الجوب في الآفاق ، كثير الرحلات في العالم . واسهم في تحرير الجزءين العاشر والحادي عشر من « دائرة المعارف » للبستاني . تعلم اليونانية القديمة وهو في الاستانة ، واستطاع ان يترجم الياذة هوميروس شعرا ، وكتب لها مقدمة علمية طويلة جليلة ، تعد مرجعا ادبيا هاما .

ومن كتبه : « الياذة هوميروس » ، وقد نشرت بمصر سنة ١٩٠٤ مع مقدمتها وشروحها ، و « عبرة وذكرى ، او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده » ، و « الداء والشفاء » وهما منظومتان في مرضه وشفائه ووصف احوال تركية السياسية ، و « طريقة الاختزال العربي » .

وقد اصدر صديقنا المرحوم البدوي الملثم رسالة طيبة عنه وعن سيرة حياته ، واعماله صدرت عن دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣ بعنوان « البستاني والياذة هوميروس » .

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

خماسيات شعرية

*

يا من يحاول ان يشوه سمعتي
وينال من ادبي امام الناس
قل ما تشاء فلن احط كرامتي
مهما غويت ولن احقر ماسي
من كان مثلي لا يهدم مجده
هذيان محموم النهى دساس
الله حسبي لا ارجي غيره
بشراك فالحق انت بالخناس
اني حبست عن الوقيعة منطقي
وشهرت في سوق الخنى افلاسي

شلت تكاليف التجارة خاطري
وعدت على احلامي الارقام
وتحجر القلب الذي رقصت على
اوتاره الآمال والآلام
هذي الحياة بقضها وقضيضها
عبء تنوء بحمله الاجسام
يا حاسدي هلا رثيت لشاعر
تجري بما لا يشتهي الايام
خذ كل ما ملكت يداي ورد لي
عهدا توشي دربه الاحلام

الارجنتين — زكي قنصل

من وحي المشيب

تصرم سبع بعد سبعين حجة … من العمر مرت بي كجرد رهان
اطاحت بها الاقدار فانجاب شملها … وولت لياليها كسحب دخان
عجالى فلم اشعر بها حين ادبرت … كأن سني العمر بضع ثوان
فرحت اناجي النفس اسبر غورها … وما قد عفا من دارسات زماني
فما راعني كر الليالي وفرها … واعراضها عن خاطري وعياني
وما زعزعت اركان عزمي وهمتي … ولا زلزلت حزمي ورفعة شاني
ولا غيضت فضلي ،وانداء راحتي، … وصدق وفائي ، وانفتاح جناني
كأني فتى ، قلبا وذهنا ونخوة … وقد فاتني عهد الصبا وعداني
جسورا أبيا آنف الذل والخنا … عنيدا اذا الخطب الغشوم دهاني
وان رشقتني العاديات بسهمها … أكيل لها عند اللقاء ثماني
واطمح يضويني المشيب ، ورائدي … أصالة نفس لم تشب بهوان
امينا فلم احنث بوعد قطعته … ولا خاب من رفدي ارتجى واتاني !

ولي ادب عالي الرتاج حفظته … وظل خيالي مشرقا وبياني
وربات شعري واصلتني ببوحها … وصاغت قريضي رائع اللمعان
تعودت غوث البائسين ولم ازل … عطوفا على بأسائهم ، متفاني
امد لهم كف المعونة مشرعا … وامحضهم حبي وفيض حناني
اجود بأوقاتي ومالي وراحتي … لادفع عنهم غائل الحدثان
فما الطب الا بلسم الضيم والاسى … وسلوى لقلب واهن الخفقان
وقد زانني ربي بقلب مشيع … وخلق كريم من رضاه حباني
تقادم سني لم ينل من صلابتي … وصائب رأيي او فصيح لساني
وما طوح الشيب الملم بجرأتي … ونبلي واقدامي وصلب كياني

وما زلت تواقا الى الانس والصفا … وصوت رخيم او صداح كمان
تطالعني الاحلام وضاءة السنى … مذهبة الابراد في ريعان
وتجلى لي الآمال ، رقراقة السنا … مبلجة الاهداب طوع بناني
وما زال يصبيني الجمال اذا بدا … على لوحة او في قدود حسان
احن الى روض الهنا وارف المنى … نضير الاماني ، والحظوظ دواني
ظليلا تغنيه الحمائم سجعا … وينعشه صوب الغمام العاني
تبرج بالنور الفتيق مزخرفا … بورد ندي الخد ، احمر قاني
واغصانه الملد الرطاب تهدلت … ومالت مع الانسام في ميدان
وانفاسه لما تفتق عرفها … ذكت كأريج المسك في الفوحان

وما شاخ الا من تقوض عزمه … واصبح لا يقوى على الاتيان
تداعت مفاهيم الحياة برأسه … وبات اسير الضعف والهذيان
يدب على العكاز مرتعش الخطى … شرود النهى ، جهم الملامح ، واني
يغالب اعصار المشيخة واهيا … ومحدودبا يهتز كالسرطان
وان امتداد العمر ليس بموهن … سوى مهجة ثكلى ، وقلب جبان
واني بعون الله مستكمل القوى … نشاطا وادراكا وضبط عنان

الدامور ـ لبنان … عزيز عون

بتشوق طفولي يعانيه انسان تجاه مجموعة غريبة عنه ، يود لو يندمج فيها ... تقدم فوزي يعبر المجاز الى قاعة الاستقبال المغربية الطراز ، يدغدغ سمعه ترحيب سيدة الدار للا عائشة ، بصوتها ذي البحةالمترعة بالحيوية الفاسية المهذبة مختلطا بضحكات المدعوات ، وبلغط خفيف تمتزج فيه اللهجة المغربية الحادة النبرات بالعبارات الفرنسية الباريسية الجرس .

وشدت للا عاشةعلى يده بحرارة، واحتفظت بها بين اناملها ، وهي تخطو برشاقة اخاذة نحو وسط القاعة ، لتقدم ضيفها المشرقي الى السامر الصاخب ، باذلة من لباقتها العفوية ما يجلو عن نفسه احساسا بالغربة ، تعاظم وهو يطالع وجوها يتعرف معظمها للمرة الاولى ، في وسط مغربي عريق ، تشكل تقاليدهوعاداته حاجزا سلوكيا نسيج وحده ... يصعب على القادم من الشرق انيشعر بتلاشيه .

اتخذ فوزي مجلسه على المضربية الموشاة بنقوش مخملية خمرية ، بين سيدتين ، احداهما المانية شقراء جريئة النظرات ، انيقة جاوزت العقد الثالث من عمرها ، دون ان تفقد نضارة العشرين .. وسيدة مراكشية ناعسة العينين، يضج جسدها بانوثة صحراوية . كانت ترتدي قفطانا من القطيفة السوداء مطرزة حوافيه بخيوط ذهبية ، ويعتصره عند الخصر نطاق عريض من الذهب المرصع بالياقوت والزمرد ، ينطق ببذخ غير عادي ، اشتهرت به نساء الطبقة المترفة في المغرب .

بدا جوالقاعة لفوزي خلابا بطرافته وسحره .. جمع بين ذوق انثوي فاسي رفيع واناقة باريسية غنية بعصريتها ، في تمازج متناغم يجسد حسا جماليا مرهفا ، لا يتوفر الا لفنان . كانت جدران الصالة مزينة بلوحات انطباعية رسمتها ريشة للا عائشة بالوان ساخنة اضفتعليها الاضواء الخافتة المشبعة بدخان السجائر وعطر النساء اثارة محببة ، ضاعفت زخمها انغام موسيقيةراقصة كانت تنبعث من الردهة المخصصة للرقص ، وراء ستائر كأنها شباك صيد ، تحركها نسيمات تتسلل من باب الشرفة المطلة على حديقة الدار .

واقبلت للا عائشة منوراءالشباك، كحورية من حوريات البحر الاسطورية تتهادى في ثوبها الآثيني . واحس فوزي بغيرة تنهش صدره ، وهو يرى عيون الرجال تلتهم جسدها ومفاتن جمالها الذي كان مزيجا من عنصرين : غربي فاسي وبربري اطلسي . كان في عينيها نظرة مشبعة بوميض نشوان ، كانت تلك النظرة تبدو لفوزي كأنها سر جاذبية هذه



قصة مغربية

بقلم نزار مؤيد العظم

السيدة المطلقة ، ومبعث تهافت الرجال على التماس صداقتها ، وافتعال المناسبات لزيارتها . وكان يتراءى له ان كل رجل من هؤلاء المتهافتين يحسب نفسه الاثيرعندها، المقرب الى قلبها . لا يفصله عن وصالها سوى هدية ثمينة يقدمها ، او محاولة جريئة يبذلها ، عبرلحظات مواتيات ، كلحظات هذه الليلة . كانت دماثتها ورقة خصالها ، وبسمتها السخية ، وتلك النظرة المتضوئة من



عينيها الواسعتين ، توحي كلها بمثل هذا الشعور . حتى فوزي نفسه ، لم يبرأ من مراودات كهذه ، طالما عصفت به ، كلما خلا الى هذهالسيدة عبر السنتين اللتين مرتا على نشوء الصداقة بينه وبينها ، دون ان يجرؤ ... ولو مرة واحدة ، على بذل اية محاولة تفضح كوامن نفسه . وكان يبدو لهان للا عائشةكانت سعيدةبهذه الهالة من الاعجاب والرغبات، يحيطها بها الرجال ، دون ان تمكن لاحد من قلبها ، او تمنيه بأمل في صلة اكثر حميمية . وكان فوزي كلما سألها : لماذا لا تتزوجين ، ولك كل هؤلاء المعجبين المريدين ، تتهاتف وتجيب : سأتزوج حين اعثر على رجل مثلك ، شريطة ان يكون عزبا نظيف القلب .

ونبهه من سبحاته صوت للاعائشة وهي تتكلف التحدث اليه بلهجة لبنانية ، كانت تعلمتها من مخالطتها لتجار وطلبة لبنانيين ، عرفتهم ايام كانت تعمل في مخزن لبيع التحف الشرقية بشارع مونبارناس في باريس ..

ــ استاذ فوزي .. لماذا لا ترقص وتمرح كالاخرين في ليلة عيد ميلادي ؟؟

رفع اليها بصره فهزه ذلكالوميض النشوان المتألق في عينيهاالخضراوين الواسعتين ، من خلال اهدابهما الطويلة .. وراح ، للحظات ، يتأمل وجهها الرقيق ، وعنقها الاغريقي ، ثم جيدها العريان ، تلمع عليه بين خصل الشعر الفاحم الطويل قلادة صنعها بربري حاذق من جبال الاطلس .

وبحركة ذات اغراء لا يقاوم ، مدت عائشة يدها اليه ، تدعوه للرقص، فهب يتبعها الى ردهة الرقص ، واناملها النحيلة تضغط على يده في ود حميمي . تلاصقا على انغام موسيقى السلو . وبطمأنينة طفل وجد صدر امه بعد عناء .. اراحت للاعائشة رأسها على الصدر العريض، فلامس شعرها الناعم صفحة خد

فوزي ، ونفذ الى انفه ريح عطرها . فأثار في كيانه دوامة توق عارم اليها، واحساسا بالغبطة ، ود معهما لو تستمر تلك الرقصة بلا نهاية . وكأنما استشعرت للا عائشة بما يكابده فوزي ، بعد ان اشتد ضغط راحته على خصرها الريان ، فابعدت راسها عن صدره ، ورمته بنظرة ذكية نفاذة، سبرت بها اغوار نفسه ، ثم اطلقت ضحكة جذلى معبرة ، كأنما تود ان تقول له :

ـ حتى انت ايها الصديق الحميم ؟

كانا قد وصلا في غمرة الرقص الى باب الشرفة المطلة على حديقة غارقة في ضوء القمر . ولمحا من خلال الستائر المترنحة الشفافة طيفي راقصين راحا في عناق طويل يتبادلان القبل ، فهمس في اذنها بصوت ارعشته الاشارة :

ـ هل نخرج الى الشرفة لنشم عطر شجرة مسك الليل ؟؟

رفعت الى شفتيه المستعرتين بنار الرغبة سبابة يدها اليمنى ، كأنما تريد منعه عن الاسترسال مع خواطره التي ادركتها بحد ذكائها المتوقد ، واختطفت من خده قبلة سريعة مفاجئة ، واجابته وهي تضغط على حروف كلمتها الاخيرة بلهجة دعابة :

ـ الا يكفيك عطري يا استاذ ؟؟

تبدى لها في نظرته الى عينيها الجائعتين ، عبر تلك اللحظة ، ما اوحى اليها بأن صديقها المشرقي سرت اليه عدوى سحر نظراتها والتهافت الذي اصاب اصدقاءها الاخرين قبله ، وفيما كانت اعصاب فوزي تترنح من تأثير القبلة الودية التي فاجأته بها عائشة ، زمت شفتيها الكرزيتين ، وتطاولت الى وجهه بحركة رشيقة ، وطبعت قبلة سريعة اخرى ، ثم همست قبل ان تنفلت من بين ذراعيه ، وتغيب بين زحام الراقصين :

ـ تمهل عند انصراف المدعوين .. فلي معك حديث طويل يا استاذ.

عاد فوزي الى مجلسه يتواثب في ذهنه اكثر من سؤال ... ترى لماذا استبقته لوحده ؟ لماذا خصته بخلوة في موهن من الليل ؟؟ واي سر تريد ان تبوح به له بعد سهرة حافلة بالاثارة.

وطفق فوزي يستهلك ما تبقى من وقت السهرة بأحاديث مجاملات سطحية مع من حوله .. حتى انفض السامر المرح بعيد منتصف الليل ، وانتهت سيدة الدار من توديع آخر ضيوفها ، وغابت عبر الممر الطويل المؤدي الى بقية انحاء الدار ، ثم سادت فترة من الصمت الثقيل .

واخيرا .. اقبلت للا عائشة ، وقد استبدلت ثوب السهرة بثوب للخروج وجذبته من يده مفترة الثغر عن بسمة حانية ، وقالت :

ـ انا جائعة ، ومطلوب منك ان تدعوني للعشاء في حديقة مطعم جور اي نويسي .

هز رأسه باستسلام ، وتأبط ذراعها وخرجا الى الشارع المقفر ، حيث كانت سيارته ، فركبها وانطلقت بهما تجتاز شوارع الرباط ، وكل منهما مستسلم الى خواطره ،ولفافة دخانه .

وفي حديقة جور اي نويسي ، الذي يستقبل زبائنه طوال الليل والنهار ، اتخذا مجلسهما في ركن قصي معتم تحت اشجار الحديقة ، وطلبا عشاء خفيفا ، وراحا يلتهمانه بصمت ، تتزاحم فيه الافكار ، وكل منهما يتوقع ان يبدأ صاحبه بالحديث .

اخيرا ، سألته للا عائشة ، وقد اعترت وجهها مسحة حزن جدي كان يراها عليه لاول مرة :

ـ هل تحسبني انسانة سعيدة يا فوزي ؟

فكر قبل ان يجيب ، وهو يتأمل عينيها ، فلا يرى فيهما ذلك الوميض النهم :

ـ اعرف انك انسانة غير عادية . نظرة عينيك الخضراوين ، بوميضهما العجيب ، اخبرتني بذلك مرارا .

هزت عائشة راسها بمرارة ،واشعلت لفافة سحبت منها نفسا طويلا ، قبل ان تقول :

انا امرأة تعسة مثقلة حياتي بالشقاء . وعيناي .. عيناي هاتان ، هماسبب تعاستي . اسمع يافوزي. سأفتح لك قلبي لانني احترمك اكثر من احترامي لاي صديق اخر . انا انسانة غير عادية فعلا .. هكذا كنت منذ طفولتي . حياتي لم تكن كحياة لداتي من بنات فاس وجبال الاطلس. خرقت التقاليد المتزمتة منذ بدأت اعي وجودي . لعبت مع صبية الحي وكرهت العاب البنات . كنت اقفز من فوق اسوار مدرستي لافر وانضم للطلبة في تظاهراتهم ضد الفرنسيين. كان طلاب جامعة القرويين ، حين يرونني بينهم ، سافرة عن وجهي ، ارشق جنود الحماية بالحجارة ، يستعيذون بالله من شر الشيطان الرجيم ، ويصرخون في وجهي مستنكرين :

ـ آلبنيتا .. سيري بحالك للدار ، والله يهديك . !!

ومسحت عائشة زاويتي فمها بالمنشفة ، وتابعت حديثها الهامس :

ـ كنت من الاوائل اللائي خلعن الجلابة ليخرجن بالملابس العصرية . نزعتي للتحرر ، اغضبت ابي العريق بفاسيته وامي المتشبثة ببربريتها . تركتهما ورحلت الى باريس . هناك عملت في مخزن لبيع التحف الشرقية ... لانني كنت ، ولا ازال ، احب الشرق والمشارقة ، واحس نحوهما بحنين غامض النشأة لا يفتر . وفي باريس جمعتني الاقدار برجل مغربي احببته بكل زخم شبابي . رأيت في ـ بوجمعة ـ تجسيدا لوطني الذي تركت . شممت في عرق جسده وانفاس لهاثه رائحة تربة الاطلس ، وعبير نعناع الشاي الاخضر . رأيت في جبهته العالية وقامته الفارعة النحيلة عنفوان اخوالي الامازيج الاشداء ذوي العمائم البيض والخيول التي تسابق الريح .. فتزوجنا ، ورزقنا بعد تسعة اشهر فقط طفلة

شقراء ، لها عينان جريئتان كعيني هاتين .

لامست للا عائشة جبهتها النبيلة براحة يدها ، كمن يستجمع شتات افكاره ، واطلقت زفرة حرى ، ثم اردفت ، وفوزي يستمع اليها بكليته .. :

ــ كان بوجمعة يغار علي غيرة عمياء ، لا مبرر لها . كان يحترق كلما ابصر عيني تشعان بوميضهما الجريء ، حين اتحدث لزبائن المتجر ، او اكون بين جمع من الاصدقاء . كان يحسب انني اخونه بتلك النظرة الجائعة التي ابتليت بها، دون ان يكون لي في نشوئها حيلة او تكلف . جاءني يوما بنظارة سوداء كثيفة كالتي يستعملها العميان ، وطلب مني ان اضعها على عيني باستمرار ، ولا انتزعها الا ساعة النوم . اطعته راضية لشدة حبي له . لكن النظارة لم تنه المشكلة . كانت غيرته تتعاظم يوما بعد يوم ، حتى صار يكره عيني كرها احمق خبيثا ، ويراهماكلعنة تدمر سعادته . وذات يوم ، اقفل علي باب البيت ومنعني من مغادرته شهرا كاملا. وفي ليلة شتاء قارس ، عاد للدار مخمورا ، تقدح عيناه بشرر مجنون، وانهال علي ضربا وركلا ، ثم اخذ راسي بين يديه وشرع يضرب به الحائط ، حتى احسست بالدماء تنساح على وجهي . ثم طرحني ارضا ورايت اصابع يديه المتشنجة تتخذ سبيلها الى عيني تريد اقتلاعهما . بحركة ضارية دفاعية ركلته بعيدا ، واختطفت طفلتي من مهدها ،وهربت الى الشارع اعدو كالمخبولة . وبعد سفر متواصل في القطار ، وجدت نفسي هنا في الرباط لا املك من دنياي سوىشبابي الجريح ،وطفلتي، وطموحي البعيد .

غالبت عائشة دمعا كاد ينهل من مقلتيها ، ومدت الى فوزي معصم يدها اليسرى ، وقالت بصوت راعش :

ــ انظر هنا .

امسك فوزي باليد الرقيقة الباردة يتفحص موضع النبض في معصمها ، فراعه اثر جرح حديث العهد ، وردد في ذهول مشفق :

ــ حرام عليك ان تفعلي ذلكوانت في عز الشباب ... وفرص الحياة السعيدة لا تزال كثيرة . !!

ترنح راسها كما لو ان دوارا عصف به . ورفعت اليه ناظريها المبللين بالعبرات ، وقالت بصوت مخنوق :

ــ بوجمعة ، زوجي السابق ، جاء من باريس قبل ثلاثة اسابيع وانتزع مني طفلتي ، بعد ان ربيتها بعرقي ودموعي تسع سنوات . قال انه لا يريد لإبنته ان تنشأ في رعاية امرأة عاهرة . كان هذا قوله بالحرف الواحد . لم استطع احتمال الصدمتين : فقد ابنتي ، واتهامي بالعهر . فقررت في لحظة يأسمطبق انهاء حياتي ، لكن ارادة الله كانت الاقوى .

جاء النادل ليسأل عما يطلبان بعد الطعام . فانتفضت عائشة تلملم ما تبعثر من شجاعتها بسرعة مذهلة، وحين حددت طلبها للخادم ، كانت قد استعادت شخصيتها المرحة ووميض عينيها العجيب . وبعد ذهابه اشعلت لفافة ، ونفثت دخانها بسرعة وقالت :

ــ جل من يعرفني ويرى طريقتي في الحياة ، وعشرتي للناس ، بالانفتاح الذي تعرفه عني يا فوزي ... لا يستطيع تكذيب الحكم الذي اطلقه علي بوجمعة .

قال فوزي مواسيا :

ــ بوجمعة ، كان متجنيا قاسيا في حكمه .

هزت عائشة راسها ، واكدت :

ــ حقيقتي غير ما يعتقدون ... فهي بيضاء ناصعة ، لا زلل فيها ولا خطيئة .

وترددت ، وكست وجنتيها حمرة الخجل ، ثم ضربت بقبضة يدها سطح الطاولة ، وانتزعت كلماتها بصعوبة :

ــ لعلك .. لعلك لا تصدق ان عفتي لم تزل طاهرة ، منذ هجرت زوجي قبل تسع سنوات .

وبلهجة المؤمن بفلسفة يعتنقها ويعيشها بكل وجوده ، افرغت للا عائشة بقية حديثها قائلة :

ــ سلوكي في الحياة مجموعة تصرفات استطيع تكييفها ، او تغييرها ساعة اشاء ، على ضوء قناعتي. اما مهارتي ، فهي جزء كبير من اخلاقي التي لا استطيع استبدالها او العبث بها اطلاقا .

وفي غبش الفجر الرطيب ... انتهيا من احتساء الشاي الاخضر بالنعناع ، وهبت عائشة من مجلسها قائلة في وداعة نقية ، وهي تتأبط ذراع فوزي :

ــ والان ... هل لك يا سيدي ان توصل المطلقة الطروب الى بيتها ، وتغفر لها ان قالت : عيناي ... ليتهما تنطفئان ؟!

نزار مؤيد العظم

بلهاء

رصيدك هذا الحسن لا تزدهي به	فليس له من معدن الروح ضامن
غداً تكشف الاوراق عن كل زائف	وتسقط يا بلهاء هذي المفاتن
اذا هذب الجراح انف دميمة	فما هذبت نفس ولا عز مارن
وما قيمة الاشياء بالحسن وحده	وبالجوهر الصافي تقاس المعادن
ظننتك فوق الظن عقلا ومنطقا	فدلت على عكس الامور القرائن

وديع ديب

النهر يزهر حباً

الى الاخ الكبير الاستاذ عبد القادر عياش الذي يعمل في صومعته بصمت بعيدا عن نقيق الضفادع .. ذكرى لقاء على ضفاف الفرات العظيم ..

●

محمود محمد كلزي

●

دمشق

تمتد ذراع الصحراء اليك
وتغفو فوق ضفافك
يا نهرا يفرق في عيني
تاريخك وشم محفور في قلب الرمل
وضفافك تهرب ... تغرق في الوحل
تحمل قصب النهر لتلقيه
في اعراق الجدب ..
وتمد ذراعك تخطف ازهارا
من عيني الطفل ...
يا نهرا يحمل جوعي .. ويميت سنابل حبي
سأسد بوجهك هذا الطوفان .(١)
احيل عيون الرعب
قناديل ترفرف فوق غصون النخل

ويورق رملي ..
وتخضر عين البيادر
وتلقي لعاصفة ــ ان تمر ــ بقية ذلي
ويخضر .. يخضر قلبي ..
وتفرح هدبي ..
وادفن جدبي ..
ويزهو حبي ...

وتمتد بين الرصافة .. والكوفة .
اغاني الرعاة ...
واحلام قصر الرشيد .. تلف جذوع النخيل (٢)
وتمتد اذرعك الحانيات
لتمسح دمع السهول
وتنمو الحياة .. وتسمو المواسم بالغلة

يا وطنا ..
يغرق في النهر الكبير (٣)
سوف تمرع الجذوع
تقلع من محاجر الايام
غصة الدموع ..

ستنمو السواعد في ضفتيك
وتغدو جسورا ..
وتصحو المعاول .. تهدم ما خبأته الفصول
ونبني الجسورا ..
لمن يرغبون العبورا ..

---

(١) الفصل يعود لسد الطبقة حين يصد الطوفان (٢) يقال بان البساتين تمتد بين الرصافة في البادية وبين سهول العراق ... بعهد الرشيد (٣) تقصدت تغيير ايقاع هذي القصيدة حسب مقاطعها .


وحيد الدين بهاء الدين

محمد مندور كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

هذه الايام تصادف الذكرى التاسعة لوفاة النقادة العملاق الموسوعي الدكتور محمد مندور هذا الذي تـــرك خلفـه رصيدا ضخما من الاثار الادبية والنقدية والمترجمة ما يصلح ان تتخذ نماذج حية خليقة بالتثمين لا لشيء الا لانها تشكل نقطة تحول في واقع الادب العربي المعاصر بعد الحرب العالمية الثانية وامتدادا فعليا لكتب قيمة قامت ارهاصا بهيكل النقد في العالـم العربي كـ « الديـوان » للعقـاد والمازني و « الغربال » لميخائيل نعيمة و « حديث الاربعاء » لطه حسين اضافة الى غيرها من مؤلفات كانت فتحـــا جديدا لم يسبق له نظير كدراسات اسماعيل احمد ادهم الاخذة باسبـاب التحليل النفســي والمنهـج الموضوعـي والاسلوب العلمي .

والمجد الادبي للدكتور مندور مبنـي على الكتـب الخمسة والثلاثين التي اخرجها لانها الاساس في تكوين شخصيته الناضجة بينما شخصيته السياسية المميـزة مستمدة من انهماكه في الصحافة الحزبية ونضاله فـي ميدان السياسة حتى زجتاه في السجن لانه تحدى قوى البغي ووقف صلبا لا ينكص عند مبدئه .

ولكن بالرغم من هذا كله فان السياسة وان لم تقض على شهرته الادبية الطائرة فانها جنت عليه بفظاعة اذ دفع عنها ضريبة باهظة . ولن انسى مقالته الشهيرة « محنة القلم » وقد نشرها في مجلة « مسامرات الجيب » اثر خروجه من السجن سنة ١٩٤٦ بعد ان اتهم بالشيوعية . لقد قالت عنه الدكتورة سهير القلماوي : « رايي في الزميل الدكتور مندور انه ادى للنقد اعمالا قيمة حقة ولكنـــه يتكاسل هذه الايام ويعيش كثيرا على ماضيه ومـا هذا الا اكبارا لمكانته وثقافته الواسعة التي تجعله مسؤولا اكثر من غيره امام القراء » .

من هنا كانت شخصية الدكتور مندور ذات أبعـاد وجوانب يتعذر تسليط الانوار عليها في عجالة ..

اعجبت بالدكتور مندور قبل ان القاه شخصيا في مؤتمر الادباء العرب الخامس المنعقد ببغداد فـي شباط ١٩٦٥ ، وكانت لي معه ذكريات لا سبيل الى نسيانها وما اكتبه لا يعدو ان يكون لقطات خاطفة .

اجل اعجبني الدكتور مندور باخلاقيته وصراحته وغزارة علمه واصالة تفكيره وتعبيره . تحدث الي في كل مناسبة ومجال حديث الند للند وهو يشيع في جوارحي اغتباطا يدعوني الى الاستزادة .

في قاعة الخلد ما ان مددت اليه يدي اصافحه حتى صفعني شروده الطاغي الظاهر الذي لم يطرق مسمعي من قبل .. ولم اكن اتوقعه . حرت ورددت في قراري : لعله شرود العبقرية او الكهولة او ما الى ذلك . وما لبث محمد خليفة التونسي صديق العقاد وتلميـذه ان همزني مـن سباتي الفكري ليسكب في اذني : مبعثه عملية اجريت له في عينيه ..

نعم هالني ذهوله العميق المستدام هذا الذي ان لم تحاول معرفة مرده وسبر غوره فلا تلبث ان تغير فيـه رايك وتشيح عنه بوجهك وتلعن اللحظة التي جمعتك به ... على ان شروده او ذهوله ، وقد جعـل الكثيرين للاعراض عنه والنفور منه ، جعلني اتدانى منـه واتحدث اليه بغية كشف ما انا بسبيله ومن جانبه فقد انسجم معي ومع الصديق الدكتور صفاء خلوصي وافضى الينا بما كان يخالج باله من احاديث عزيزة .

في جلسة ادبية رائعة بفندق « امباسدور » ومعي الدكتور صفاء خلوصي ، سألته :

ما رايك في الدكتور اسماعيل احمد ادهم المستعرب التركي المعروف ... ؟

قال : لم الق اسماعيل في الفترة التي ظهرت ابحاثه الاساسية وكنت ادرس في باريس ولكن من خلال كتبـه تبين لي انه استاذ منهجي في ابحاثه الادبية ــ علمي النزعة يحرص على استقصاء الحقائق وتمحيصها وينفر مـــن التعميم السريع الذي يتنافى مع الروح العلمية الصحيحة ويدل على فجاجة في الفكر وان كنت اظن ان روحه العلمية كانت اقوى من حساسيته الفنية الجمالية وربمـا كانت هذه النزعة الموضوعية هي السبب في اتجاهه نحو النهج النفسي في تفسير الانتاج الادبي ، فهذا المنهـج عقلي بطبيعته ولقد سبق لي ان اوضحت خطره على الادب من حيث انه قد يحيل الادب الى وثائق نفسية بدراسة الادباء اكثر من دراسة انتاجهم وانا بطبيعتي وثقافتي افضل ان

يستقل منهج البحث في النقد والادب وتفسيره عن مناهج العلوم الاخرى باعتبار ان للادب خصائصه المميزة عن غيره من النشاطات الانسانية وهو اولا فن جميل باعتباره صياغة فنية لتجارب بشرية وهو بسبب قيمته وفاعليته لا من الدلالة على شخصية صاحبها فحسب وعقده النفسية بل بقدرته على اثارة الانفعالات العاطفية والاحساسات الجمالية في النفوس .

قلت : الا تدل حادثة انتحاره على حساسية .؟

قال : كلا .. وانما كان له بيت في الاسكندرية يدر عليه مالا فاحترق وضاقت به سبل الحياة .

قلت : كيف عاش ؟؟

قال : عاش مترهبا بالبحث العلمي ويميل بطبعه الى العزلة .

قلت : يقال انه قتل ولم ينتحر .. ؟

قال : ومن الذي قتله ؟ لا اصدق ذلك . (ومتابعا) : هو من طبقة ولي الدين يكن وكان متصلا باحمد زكي ابو شادي وحسين فوزي وتوفيق الحكيم وله كتاب « عبد الحق حامد » وكانت له جراة انتحارية وكان ظاهرة فاسدة في جراته في الراي ..

قلت : كيف تنظر الى نجيب محفوظ ؟

قال : يعتبر نجيب محفوظ انجح القصاصين العرب في الادب الحديث وان كنت الاحظ انه في بعض قصصه مثل « بين القصرين » يسرف في الوصف الى حد تعطيل الحدث الدرامي في القصة مع انه من الواجب ان يظل الوصف وظيفيا في الفن القصصي اي لا يعتبر هدفا في ذاته بل يوضع في خدمة الحدث القصصي وابراز ابعاد الشخصيات المشتركة في هذا الحدث كما انه ربما كان نجيب محفوظ شديد التحفظ في الراي والموقف حتى ليلوح ان الجراة الفكرية تنقصه احيانا كثيرة ...

قلت : ماذا تقول في امارة الشعر .. ؟

قال : لا اؤمن بها اطلاقا والشعراء كالفاكهة لكل منها مذاقها الخاص والمفاضلة بين المذاقات المختلفة ترجع الى المزاج الفردي .

ــ في احد ايام المؤتمر كنت والدكتور صفاء خلوصي في فندق « امباسدور » واذا بنا وجها لوجه مع الدكتور مندور ... انتهزت الفرصة لافاجئه بما اريد ، فقلت وانا اشير الى صاحبي باصبعي :

ــ من هذا ؟!

حدق فيه فاطال التحديق وبين أصبعيه سيكارة تحترق وتحترق . ثم قال :

ــ ابو نواس في اميركا ..

وشملنا ضحك ..

انه لم يستطع لتوه ذكر اسم الدكتور صفاء بل ذكر اسم احد كتبه بالرغم من انه تعرف اليه واهدى اليه بعضا من مؤلفاته ..

واتفق مرة ان رايته في قاعة المحاضرات والاجتماعات يتقدم نحو الجهة التي انا بها حتى صار لصقي ، فانبريت لـه :

ــ اتعرفني ... ؟!

رفع الي عينين صغيرتين بريئتين والسيكارة ما انفكت بين اصبعيه يتعالى دخانها في اللامحدود ، وبعد طويل :

ــ وحيد ... !

واذكر انه اخرج ــ ونحن في فندق بغداد ــ من جيبه دنانير عراقية وجنيهات مصرية وقبيل ان اظهر له دهشتي من تصرفه هذا ، قال بصوته الخفيض :

ــ خذ ما تشاء لتبتاع لي نسخة من ديوان «انشودة المطر» لبدر شاكر السياب ؟؟

ــ ضعها في جيبك ، فانا سأبحث لك عن نسخة منه ...

والغريب بعد تلك الامسية لا هو سألني عن الديوان ولا انا تمكنت من شرائه بسبب من انشغالنا بالمؤتمر واعماله المتداخلة ... وقلت لـه :

ــ ما رايك في مؤتمر الادباء هذا .. !

ومن غير تحفظ رد :

ــ فاشل ...

ولم يتهيأ لي المجال ــ والموقف غير مناسب ــ لاسأله عن الاسباب التي ادت الى مثل هذا الفشل كما يزعم .

ولكني بعد قراءتي مقالته «المؤتمر بين التقدمية والسلفية» وقد نشرها في مجلة « روز اليوسف » بعد عودته الى القاهرة ، ادركت ما توخاه في رأيه ذلك . ثم انه لم يتقدم الى المؤتمر بأي بحث كما فعل زملاؤه من الاعضاء بحجة التأخر ومع ذلك كله فقد بعث بعد انتهاء المؤتمر ببحث عنوانه « الادب والثورة » الى اللجنة التحضيرية ، حيث نشر في الكتاب الضخم الذي تضمن الدراسات والبحوث في ما بعد ...

ورمت ان اعرف رايه في استاذه الدكتور طه حسين فقلت :

ــ كيف ترى طه حسين .. ؟

قال ما معناه :

لست راضيا عنه كل الرضى ..

اعرف ان كثيرا من الادباء يختلف في تحديد النزعة السياسية التي يعتنقها الدكتور محمد مندور فقلت له :

ــ يقال انك شيوعي .. ؟

فاجاب ببساطة بعيدة :

ــ لا .. لست كذلك .. وانما انا امقت التعصب والدكتاتورية بكل الوانها واصنافها ..

ــ ولكنك دخلت السجن .. وباية تهمة ؟؟

ــ نعم .. بتهمة الشيوعية .

ابنتي سهير

سهير ابنتي طفلة ماكره وانعم بها طفلة ماكره
رأتني احب ابتسام الربيع فكانت لي الوردة الناضره
واني اجن هوى بالجمال فكانت هي الفتنة الآسره
واني الى الشعر القي العنان فراحت تتمتم كالشاعره
واني احب جموح الخيال ... فمالت تحلق كالطائره

ولما رأتني في وحشتي اصارع قضبانها الجائره
اتت تحمل الانس في بسمة أرق من النسمة العاطره
تلاحقني ، بالحنان الوديع وتغمرني ، بالمنى الساحره
وتنعتني بالحديث الودود ، له نفحة الظل في الهاجره

فيا رب هب لي من اجلها حياة بنعمائها غامره
لعلي اسطيع ان اصطفي لها كل ما طاف بالذاكره
فان الوجود ، وما ضمه فداء لدمعتها الطاهره

الاسكندرية عبد العليم القباني

ـ ثم ماذا .. ؟
ـ ثم افرج عني .. وليست ضدي ادلة قانونية قاطعة .
ـ ومن كان معك !!؟
ـ عبد الرحمن الشرقاوي وغيره ..
ـ كيف وجدت قصيدة حافظ جميل من بين القصائد التي القيت في افتتاح مهرجان الشعر السادس والتي مطلعها :

اضياف بغداد هذا وجه بغداد صحائف من بطولات وامجاد

اجاب بالحرف الواحد :
ـ ليست خير ما فيها ..
ـ في المطار صبيحة مغادرته بغداد الى القاهرة مع اعضاء الوفود ، تقدمت منه مسلما .. مودعا ، فوجدته حائرا ، متلفتا يمنة ويسرة وبيده جواز سفره ، وهو لا يعرف كيف يصنع ، وبعد تحية ومصافحة ، قلت :

ـ ماذا هناك يا دكتور . ؟
ـ قل لي اين تنجز معاملة السفر ؟ (ومتابعا) :
ـ خذ الجواز لتقضي هذه الحاجة ...
وما ان فتحت الجواز لاجراء ما يستوجبه حتى صافحت عيني صورته وصورة زوجته الشاعرة : ملك عبد العزيز (1) وهما في نضارة العمر . وما عتمت ان عدت اليه وقد انتهى كل شيء ..
ثم احتوتنا قاعة الاستقبال فجلسنا متجاورين وبين اصبعيه سيكارة جديدة ..
ـ هل استطيع ان اراسلك ..؟؟ لو كان ثمة مقتضى .
ـ لم لا ... ؟!
فاخرج من جيبه بطاقة طبع عليها اسمه وعنوانه ما برحت احتفظ بها ..
وقبل موته المفاجيء بالنسبة الي في ١٩ ـ ٥ ـ ١٩٦٥ قررت ان اكتب اليه ولكن نعيه جاءني ليثيرني مرة اخرى كما اثارني شروده وذهوله ..
رحمات الله عليه ..

بغداد وحيد الدين بهاء الدين

(١) كانت السيدة ملك عبد العزيز ضمن اعضاء الوفد المصري الى مؤتمر الادباء العرب التاسع الذي انعقد ببغداد في نيسان ١٩٦٩ اذ تم التعارف بيننا واهديت اليها بعض كتبي تحية وذكرى .

الــورطــة

بقلم سكينة الشهابي

* * *

كلنا نعرف توفيق الحكيم بمسرحه الاجتماعي الفكه، الناقد ، وكلنا نعرف ان هذا المسرح اصابه تحول كبير بعد الثورة المصرية ، لان توفيق الحكيم اراد ان ينطلق من المبادىء الجديدة التي نادى بها رجال الثورة او بمعنى آخر ، اراد ان يطل من كوة الادب الملتزم .

في هذا المفهوم ، وحوله كتب توفيق الحكيم «الورطة» هذه المسرحية التي جاءت تحقيقا للمنطلق الجديد الذي دعا اليه في مقالاته عن « الادب الملتزم » و « ادب الشعب » و « مسؤولية ادباء الشباب » وحرية الادب .

شغل التقدم العلمي تفكير الحكيم فكتب مسرحيته « طعام لكل فم » واقضى مضجعه ذلك الربط بين العلم من جهة والجرائم التي ترتكب بحق الانسانية من جهة ثانية فكتب « الورطة » انها ورطة العلم الذي يمد يده الى اللصوص ليكون لهم عونا وسندا ، يريد منهم مساعدته في سبيل الوصول الى الحقيقة وتطبيق اسلوب التجريب العلمي ، ولكنهم يستغلون ذلك في سبيل تغطية اجرامهم وتنفيذ مآربهم في السلب والنهب . ومن هذه القضية الكبرى ينفذ الى قضية فلسطين فيضع يدنا من حيث لا نشعر على اصل الداء ومكمنه ، ولكنه يسمو سريعا فوق الواقع ، تشده المثالية ، فيوهمنا ان الحق سيعود الى نصابه وان ذلك الذي مد يده الى المجرمين من اجل العلم وخدمته يستيقظ فيه صوت الضمير وتثور مشاعره الانسانية فيحمل نفسه مسؤولية ما احدثه اللصوص من اثم ، لولا ان الامور تتطور ، فاذا بالحوادث تتدافع لكي تحدد المسؤول المباشر عن الجريمة ويسدل توفيق الحكيم ستار الفصل الخامس ونحن نتساءل : ماذا سيحصل ليحيي بدران وهل سيتمكن رجال الامن من القبض على اللصوص الحقيقيين ؟ ام ان المسؤولية ستظل مرتبطة بحيي بدران .

مكان المسرحية بيت الدكتور يحيي بدران استاذ الحقوق القانونية في الجامعة . وزمانها يمتد شهرين من اليوم الذي تمت فيه السرقة الى اليوم الذي صدر فيه الحكم بحق المتهم البريء .. صدر الحكم باعدامه فبلغ التوتر النفسي عند الدكتوريحيي حده الاقصى فلم يشأ ان يسكت على هذا الظلم ، ويسمح لنفس اخرى ان تموت بدون ذنب اقترفته فاتصل بالسلطات ليخبرهم انه هو السارق وانه هو المجرم الذي ثقب الجدار واخذ كل شيء .. حمل نفسه المسؤولية الكاملة عن الجريمة لانها تمت تحت سمعه وبصره ، من اجل تجاربه العلمية .

وشخصيات المسرحية قليلة اذا قيست بمسرحية طويلة ذات خمسة فصول . الدكتور يحيي بطل المسرحية الذي تورط مع المجرمين دون ان يحسب حسابا للعواقب وكان شخصية حية استطاعت ان تلعب دورها كاملا في المسرحية . فالدكتور يحيي باحث محقق كرس حياته للعلم ولم يفكر بمشروع آخر يصرفه عنه حتى انه اخر موضوع زواجه الى حين ينتهي تأليف كتابه الكبير « علم النفس الجنائي » ولم يسمح لنفسه باللهو والعبث ، فهو استاذ في كلية الحقوق والطالبات يتهافتن عليه ولكنه لا يرضى ان يقابل واحدة منهن في بيته .. حتى ان اللصوص لم يستطيعوا توريطه معهم الا عن طريق العلم حين اقنعه رجل المطبعة ان كتابه لا يتم له الرواج الا اذا اقترنت فيه الابحاث النظرية بالتجارب العملية ، فحديثه عن اللصوص مثلا ، لا يكون ناضجا الا اذا راقب اعمالهم مراقبة فعلية وجالسهم وتحدث اليهم ، وهكذا استطاع اللص المقنع باسم عامل المطبعة ان يخدع هذا العالم ، وجعله في سبيل العلم ، يفتح ابواب بيته لمجموعة من اللصوص ، متوهما انه يقوم بتجارب علمية . وتتضح الصورة الانسانية لهذا العالم حين يستيقظ ضميره لدى سماعه بمقتل الشرطي على يد احد اللصوص وتكتمل اكتمالا تاما حين يتصل بسلطات الامن لينقذ حياة المتهم البريء فيحمل نفسه مسؤولية الجريمة ، زاعما انه السارق . ولكن الحقيقة لا بد ان تظهر ويكون ظهورها عن طريق خادمه العجوز بعد ان ارهص لها الطبيب الذي اسعف اللص .

لم يشأ الخادم الامين ان يغادر البيت قبل ان يودع سيده فجاء في اللحظة الحاسمة ليلقي ضوءا على ماحدث ببساطته المعروفة بل بسذاجته التي اتقن توفيق الحكيم رسمها عن طريق الحوار .

اما اللصوص فقد كانوا امثلة واضحة للخبث والمكر شدوا العالم من يده وغمسوه حتى اذنيه في دنس اجرامهم ثم تركوه مسرعين قبل ان يعرف لهم اسما او مكانا . كانت الاسماء مستعارة : شوشو المراة وعشيقة رئيس العصابة، منير ، لقيطة لا يعرف لها اصل وربما بدت لنا اطيب من في المجموعة ، خدعها منير فزعم لها انه يريد ان يتزوجها ويعيش معها حياة مستقيمة . وبسبس اللص الشاب الذي ينفذ العمليات بجراة نادرة ومهارة فائقة ، إختفى فيه صوت الضمير فلا يبالي أقتل نفسا ام ذبح عصفورا ! فقد كان يريد قتل الدكتور يحيي خشية ان يتورط هذا الدكتور فيفشي بالسر ، لولا ان اقنعه رجل المطبعة راغب . اما منير فهو كبيرهم يحدد لهم اسلوب العمليات ، وهو في غاية الخبث لم تبدر منه اية كلمة تشير الى ماضيه او تلقي الضوء على شخصيته .

ولو اردنا ان نستطلع وجه عملاق المسرح العربي في

بوح الاماني

★

احبك والحب عندي حياة ... تموج بشتى فنون الصور
واعشق منك دلال الملاح ... اذا الشوق داعبها في خفر
ومنك يهب ارق النسيم ... يهدهد بالسحر قلب الضجر
وفي شفتيك ربيع مقيم ... يذوب في النفس سقم العمر
وعبر ابتسام العيون نداء ... يؤجج نار الهوى والفكر
ولقياك للقلب بوح الاماني ... وزادي لعالمي المنتظر

طرابلس الغرب ... حسن محمد القط

هذه المسرحية سرعان ما يتجلى لنا هذا الوجه نقيا واضحا فتوفيق الحكيم يظل ذلك الفنان البارع الذي يحدد الموضوع وينميه ويطوره ، واسطته في ذلك الحوار الذي يجري متدفقا عذبا مركزا يكشف لنا عن الشخصيات ويطور الاحداث ويؤزم العقدة .

ولكن شيئا واحدا يختفي من هذه المسرحية هذا الشيء هو الفكاهة والمرح . فلماذا فارقت توفيق الحكيم نفسه المرحة ؟ أهو السن ؟ ام الموضوع ؟ ولا اعتقد ان يكون الموضوع سببا فما اكثرما طرق الحكيم منموضوعات .. ولكنه كان يفتق الضحك من جوانب الموضوع فتتسرب الابتسامة الى شفتينا ولو كانت مرة كما في « اغنية الموت » ، ولو كانت ابتسامة ساخرة كما في « نهر الجنون » . اما هنا فلا اعتقد انني ابتسمت ولم تجنح شفتاي الى الانفراج من اول المسرحية الى آخرها . فاين روح الحكيم المرحة ، اين فن الاضحاك الذي اتقنه حتى عد جزءا من اسلوبه ؟!

هل تقول ان توفيق الحكيم ــ في الماضي ــ كان يطلق نفسه على سجيتها اما الان فانه يهتف ، عن قصد ، باسم الانسانية وينحو نحو افكار جديدة تقربه من كبار الكتاب العالميين امثال تشيخوف وتولستوي ، ولذلك فانه في هذا السبيل يهجر الهزل المشوب بالمجد ، ويجنح الى الجد الكامل .. ينزل الى الواقع يهبط من برجه العاجي ، لا ليحط في مصر ، كما فعل في « الايدي الناعمة » و « الصفقة » ولكن ليحط في رحاب الانسانية الواسعة ، كما كان يحط استاذه تولستوي ليعالج المشاكل الانسانية وهل هناك اكبر من مشكلة العلم يستخدم في القتل والتدمير والافساد ؟!

ولكنه من تلك الرحاب الواسعة ينفذ الى كوة يطل منها على وطنه فاللصوص المجرمون نستطيع ان نرى فيهم الصهيونية العالمية ، والشاب الذي حكم عليه بالاعدام هو الشعب الفلسطيني ، ورجل البوليس الذي قتل غدرا يشير الى ضحايا العدوان اما البيت الذي خرب فهو فلسطين التي ابتعد اهلها عنها .

فالذي لا نستطيع انكاره اذا ان المسرحية تعج بالرموز ورموزها تفوح بالايحاءات المتنوعة .

وكأني بتوفيق الحكيم اراد ان يعالج مشكلة الاجرام واساسها الاجتماعي ولكنه عدل عن ذلك سريعا ليلتفت الى قضية اعم واشمل ، ففي الفصل الثاني وفي الحديث المتبادل بين اللصوص رسم لنا الحكيم بشكل متقن نفسية اللصوص وربط لنا بين هذه النفسية وبين البيئة والمجتمع الفاسد والاسر المهشمة . وربما كان هذا ايضا جزءا من الاثر الذي يريد ان يتركه في نفوس مشاهديه ما دام يسعى الى خدمة الانسانية كلها .

ولكن المغزى الكبير الذي لا نستطيع انكاره والذي نضع يدنا عليه بعد الاطلاع على المسرحية مباشرة ، مغزى انساني فالاساليب العلمية تتقدم وهذا ما نراه في رغبة الدكتور الرامية الى اجراء التجارب ، ولكن العلم في الوقت ذاته يتخذ وسيلة من وسائل الاجرام وهذا ما رأيناه في خداع اللصوص للدكتور يحيى واستخدامه لتنفيذ عملية السرقة . وكأني ارى في كلام الحكيم تنبيها غير مباشر لعلماء العالم الذين يضعون ايديهم في ايدي القوى الكبرى وهم يعرفون غاياتها الآثمة .

دمشق ... سكينة الشهابي

السماوات السبع

بقلم جورج ديمتري سليم

* * *

وقع بين يدي هذا الاسبوع كتاب يحمل العنوان اعلاه ، بقلم محمد جمال الدين الفندي (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ٢٠٣ ص) ، فقراته بلذة وشغف ، لانه تناول موضوعا عصريا في اسلوب سهل ، وعرض واضح مبسط ، ولاني اتطلع ، بين الحين والحين ، الى معرفة ما يكتب عن الكونيات بالعربية .

ولست هنا بصدد تقريظ هذا الكتاب العلمي او نقده ، فالعلوم الكونية ليست ميداني ، ولكني بصددعرض بعض ما توارد الى فكري ، وانا اقرأ هذا الكتاب .

قرات في « مقدمة الكتاب » (ص ٤) السؤال التالي : « هل حقيقي ان العلم يدعو الى الايمان ؟ » . ثم قرات (ص ١١) ، بعد تحليل مستفيض ، جوابا على هذا السؤال يقول : « وسيلمس القارىء ان دراسات الكون من ابرز العلوم التي تقربنا من الخالق ، وتظهر تلاقي العلم بالايمان في غير كلفة او موابة . »

وقرات (ص ١٢) : « ولكن ليس من اليسير علميا ان نتصور ان في عالم الطبيعة من التناقض وعدم التجانس ما يسمح لنا بان نخصص اجرام السماء النائية عنا لتكون مأوى للارواح عندما تعلو لبارئها ، او مثوى للاشباح عندما تهيم في الفضاء على رحلتها الابدية . فمثل هذا التصور انما هو مجرد وهم وخيال ينقلنا بما لا نعرف ، او ما غاب عنا من اشياء ، الى عوالم اخرى نائية نكاد نجهلها ، وبذلك نتجنب الخوض في حقيقة امرها . »

وقرات (ص ١٨) في آخر المقدمة : واذا كان الانسان ينتمي الى شجرة الحياة على الارض ، فهو بلا شك ثمرة تلك الشجرة ..

ان تطور الحياة على الارض ، على هيئة شجرة ضخمة ثمرتها هي الانسان ، ليس معناه ان الانسان كان يوما ما قردا ، او سمكا ، او طيرا ، كما يظن البعض .

ولم يقل صاحب « نظرية التطور » بان اصل الانسان كان من القرد ، بل تصور كلا منهما انه يمثل نهاية فرع من فروع الشجرة . ولكن المعاني التي نظهرها هنا انما تربط بين العلم والايمان ، وتحل بعض مشاكل عصرنا في غير كلفة ، والله اعلم » .

ثم قرات في « خاتمة » الكتاب (ص ١٩٦) : «اننا عندما نسأل الماديين قائلين : هل لهذا الكون من هدف ؟ وما هو ذلك الهدف ؟ نجدهم يقولون : ان الهدف هو الوصول الى اوج العلم والحضارة .

وجوابنا على ذلك ان هذا القول بدوره لا يتمشى مع فرضهم « ان الكون لا نهائي في الزمن » ... ان العلم الطبيعي لا يستطيع ان يسبغ على الكون اي معنى ترضى به النفوس ... والذي يعطي المعنى الذي ترجع اليه النفوس هو الدين » .

عندما قرات كل هذا تذكرت قصيدة « ايها القمر » التي جاءت في « ديوان رستم » (ط بيروت ، ١٩٠٨ ، ص ٣٠٠ — ٣٠١) . فقد اثار الشاعر المهجري في قصيدته نفس النقاط التي اثارها الفندي في كتابه ، ولكن الفرق بين الرجلين ان جمال الفندي حاول ان يجيب على ما اثاره ، لانه عالم ، اما اسعد رستم الاديب فقد اكتفى بتوجيه اسئلته الى القمر ، منتظرا منه جوابا . نسمعه في مخاطبته القمر يقول :

لقد كفاك سكوتا ايها القمر ... اليس في وجهك الزاهي لنا خبر
عساك تكشف اسرارا ، لقد غمضت ... عن العيون ، فحارت عندها الفكر
قد راق ما ابصرته فيك اعيننا ... حتى من السمع اضحى يحسد البصر
لأنت اقرب من كل النجوم لنا ... وانت جارا لهذي الارض تعتبر
لئن تنير علينا في الدجى كرما ... فمنك افشاء سر الكون ينتظر
فاشرح لنا عن فضاء لا قرار له ... وعن كواكب فيه ليس تنحصر
كأنه وعليه الغيم ملتطم ... بحر كواكبه في وسطه جزر
هل الكواكب بالعمران آهلة ؟ ... وهل بها مثلما في ارضنا بشر
هل في النجوم جبال كالثرى ؟ وترى ... تجري المياه بها ، او ينبت الشجر
ام النجوم ترى قفراء خالية ... وليس يسكنها بدو ولا حضر
هذي مشاكل ما حل الانام لها ... عقدا ، وكم حاولوا يوما وما قدروا
فالفلك اعظم من ان نستطيع لها ... فهما ، وابعد من ان يدرك النظر

تذكرت ايضا ، وانا اقرأ « السماوات السبع » ، قصيدة ثانية لرستم ، نظمها عام ١٩٤٦ باقتراح خاص من الصناعي جورج اسحق ، بعد ان نجح «مختبر ايفنز» في مدينة بلمار ، بولاية نيو جرزي ، في ارسال ، لاول مرة بواسطة آلة رادار ، نبضات اثيرية الى القمر عادت الى الارض بعد ثانيتين ونصف . وفي هذه القصيدة المجهولة ، التي هي مخاطبة جديدة للقمر ، لم يتعرض فيها الشاعر لمسألة الوجود والخلود كما فعل آنفا ، بل بث القمر ، باسلوبه الرستمي المعروف ، ضيقه بالطبيعة البشرية وشكواه لما يجري على هذه البسيطة . قال في مناجاته :

سلام ايها القمر المنير ... اليك اكاد من شوقي اطير
افيك يطيب ، يا قمري ، مناخ ... وفيك حرارة ام زمهرير
وبالعربي الفصيح والانكليزي ... اطقسك فوق ام هو تحت «زيرو»
و « زيرو » عند «عمك سام » صفر ... كما « بطل »الحروب لديه «هيرو»
علي ، نعم ، منير انت ، لكن ... علي هنا من الظلام نير
اليك هموم هذي الارض اشكو ... فان قليلها عندي كثير
غلاء معيشة الانسان فيها ... بأسعار لنا فيها سعير
ديون مستحقات ، ولكن ... بنوك غير اذن لا تعير
واضراب وضربات توالت ... يقوم على الغني بها الفقير
اجرنا ، ايها المولى ، اجرنا ... على البازات قد ثار الاجير

حبك حريتي

حبيتك .. مثل اقتحام الشتاء ... وعصف الرياح وصوت المطر
ومثل الصواعق مثل الرعود ... وكالخوف يزرع فينا الحذر
ومثل البراكين تهدر تصبغ ... وجه الحياة بلون الشرر
بلون الدخان بلون العذاب ... بشتى الملامح شتى الصور

حبيتك .. مثل انسياب الحنان ... وكالصحو يزحف فوق التلال
ومثل النسيم يمر عليلا ... يثير المشاعر يثري الخيال
ومثل الطيور ترف بعيدا ... فيمسي البعيد قريب المنال
حبيتك .. حبك حريتي ... وكل اختيار عداك ظلال

بلادي ترابك للاولين ... وحرية الحب ليست طلول
فانت هواي ، وكنت هواي ... وتبقى هواي الذي لا يزول

دمشق ... سلافة العامري

معامل صاعد منها دخان ... غدا بسواده يعمي البصير
قطارات وسيارات شحن ... يعكر صفوفنا منها الصفير
وجيران يقرقع راديوهم ... ويعوي الكلب او ولد صفير
انا كالطير في قفصي اغني ... وفي الآفاق من قلمي صرير
انا المحصور مظلوم ، واني ... شعاعك في ظلامي استجير
فخلصني ، فاني عن قريب ... اسير الى الهلاك ، انا الاسير
الا فاهبط كنسر ، وانتشلني ... فاني بانتشالك الي جدير
الا خذني اليك ، فان اخذي ... ضروري ، فلي عيش ضرير
الى حيث النجوم الزهر خذني ... فان هي اسفرت ، فانا السفير
اليكم انقل الاخبار عنا ... فبالناس الجميع انا خبير
حروب جمة قد اوقدوها ... يفوق لهيبها نيران «نيرو» (١)
معارك ليس تخلو الارض منها ... فـ« عنتر » لم يزل معنا و«زير»
وفي هذه البلاد اذا نظرنا ... مشاهد لا يقوم لها نظير
وفي اوطاننا لا عدل الا ... اذا الباشا اراد او الوزير

جرائد عندنا « المرآة » منها ... ومنها «سائح» و«هدى» و«سمير» (٢)
ويكره بعضها بعضا ، فهذي ... الى هذي بتحقير تشير
وما اتفقت على غير التجافي ... فيا «منصور» عظها، يا «بشير»! (٣)
انادي صاحب «الاصلاح» «فوزي»: ... أتصلحها وانت لها مشير ؟(٤)
الا لا يحتقر احد وضيعا ... فدود القز منه لنا الحرير
وما زلنا الى الدركات نهوي ، ... فيا قمري ، الى اين المصير
كلاب الارض قد نبحتك ليلا ... ولكن عندها هذا زئير
يناديك الانام ، كفاك صمتا ... أمنك لهم كلام ام شخير
يريدون الصعود اليك غزوا ... ولكن باعهم فيه قصير
كأن لم يكتفوا بحروب ارض ... يصيح بها على النفر النفير
وقد رشقوك ، يا قمري ، اعتداء ... بسهم « ردار » ضج به الاثير
عليهم لا ترد ، فانت ارقى ... واسمى ، ايها الجار الكبير
اناس ازعجوك وازعجوني ... فهل لك منهم او لي مجير
انا للناس مندفق بنظمي ... كما بالماء يندفق الغدير
ولم اربح بنظم الشعر شيئا ... أسر به ، سوى اني شهير
انا المطلوب من عشاق شعر ... ولا ممن يروق لهم زفير
وكيف من الورى يرجى صلاح ... ومعبود الورى« وسكي » و «بيرو»
وليس لهم ضمير الناس حتى ... على هذا يبكتهم ضمير
انا المكروه ممن سممتهم ... دبابير لها عندي قفير
اذا احمرت عيون الناس مني ... فلا عجب ، وفي قولي نذير

ولم تذكرني « السماوات السبع » بالقصيدتين الرستميتين فقط . فالحق انها ذكرتني ، او ما ذكرتني، بكتاب جد نفيس ، قراته بلذة وشغف اكثر من مرة منذ ظهر عام ١٩٥٦ في « سلسلة كتاب الهلال » ، الفه احمد زكي ، العالم والمدير السابق لجامعة القاهرة ، عنوانه « مع الله في السماء » .

واشنطن ... جورج ديمتري سليم

(١) ـ نيرو هو نيرون الامبراطور الروماني الذي احرق روما ، وعرف بالقساوة والوحشية . حكم من عام ٥٤ حتى عام ٦٨ .

(٢) ـ «المرآة» هي « مرآة الغرب ». اسسها نجيب موسى دياب ، عام ١٨٩٩ . « السائح » اسسها عبد المسيح عبده حداد ، عام ١٩١٢ . « الهدى » اسسها نعوم مكرزل ، عام ١٨٩٨ . «السمير» اسسها ايليا ظاهر ابي ماضي ، عام ١٩٢٩ . واربعتها جرائد نيويوركية .

(٣) منصور هو الخور اسقف منصور اسطفان ، راعي الطائفة المارونية في بروكلن ، نيويورك . وبشير هو المطران انطونيوس بشير ، معرب ستة من كتب جبران الانكليزية وراعي الابرشية الارثوذكسية العربية في نيويورك وسائر اميركا الشمالية منذ ١٩٣٦ حتى وفاته ١٩٦٦ .

(٤) ـ « الاصلاح » جريدة نيويوركية اسسها فوزي البريدي ، عام ١٩٢٣ .



بقلم نادر السباعي

اضحك

لقد ذهب المال والاصدقاء . اصبحت منبوذا ! الحياة ليست الا اسطورة زائفة !

اضحك بشدة . ولكن خلايا جسدي تحتضر من شدة الالم ..

اتساءل :

— ما قيمة المال ؟ هل زاد من شأني ؟ هراء .. مظاهر كاذبة ... وقناع اخرق ! لقد ضيعت ثروتي (التي تعب والدي بجمعها) في البذخ على الناس . وبعد ان ضيعت كل ما املك ، لم يعد هناك احد يهمه امري .



سحقا للمال .. انه قناع للضعفاء

صحيح ما يقال ان التجربة تصنع رأي الانسان .. لقد تكونت لدي فلسفة . ولكن ما جدواها ؟ انني لا زلت وحيدا تجرني عربة الضياع ..

الهواجس المقوتة تنخر عظامي .

الدموع تنثال .. القلب يئن ... غم موحش يلازمني .

★

خطواتي المتعثرة تجوس دون وعي . ضوضاء المدينة تلهب خواطري . ارى المقاهي غاصة بالرواد كالمستنقع الآسن المليء بالاميبا . ارقب من بعيد الهياكل المصقولة وهي تجلس برزانة ... انها تملك اقنعة زاهية .

ما اشقى الانسان حين لا يحس بقيمة الزمن ؟

بحثت في جيبي عن سيجارة . لم اجد . شعرت بضآلتي . لم اعد املك مالا . ما اقسى الحياة ؟ اني احس بالندامة ولكن بعد فوات الاوان .

آه .. البرودة تشل حركاتي . جسمي يتقلص . حثثت خطاي نحو ملتقى الاصدقاء ، لعل الصدف تجمعني بواحد منهم . ان نفسي تطلب سيجارة ، وحنجرتي تكاد تنفجر !

واجهة المقهى تجذبني . امعنت النظر .. الحياة عامرة كعهدي بها . الوجوه لم تتغير . اجساد تنضح بالكسل ، وتنشط الشفاه والالسن . الاجساد تتمطى . طاقات تهدر ! صورة الماضي تمر بذاكرتي وانا اقف امام واجهة المقهى . شعرت كأني برميل مثقوب . احس بتفاهتي ..

— آه .. كم من ايام ضيعتها بين هذه الاركان ؟

التصقت قامتي بالزجاج . احسست ببرودة . الاقنعة ترمقني . نظراتي بدا عليها الضياع وانا انقل بصري من شخص الى آخر ، وفجأة تسيطر علي الدهشة !

صحت من اعماقي بلهفة :

انه فؤاد ! اراه منهمكا بالحديث .

أكاد انفجر ! حزن مدمر يعشعش في صدري .. استغرقت في وجوم طويل ، ودفقة كآبة ترافق انفاسي .

امعائي في داخلي تتحرك ..

الزحام على اشده ، واذوب بلا ارادة بين الكتل البشرية . الاحساس بالوحدة يزيد آلامي . توقفت ... ألم يسري في ظهري ، اخذت اتلمس اطرافي . هناك عيون .. عشرات العيون ترمقني دون اكتراث . كأنهم يقولون في داخلهم :

— ملتاث .. مجنون !

نظرات الناس الفضولية استغرقتني برهة . احسست بهدوء طفيف يتسلل الى نفسي . ان هذه النظرات المشفقة تواسيني !

تقدمت خطوات . توقفت كالابله امام احد المحلات الزاهية . ان جمال الاشياء قد بهرني ، وبالرغم من سوء مزاجي ، لم افقد الاحساس بجمال الاشياء .

استدرت . شخص يقف بجانبي وسيماء وجاهة كاذبة تبدو عليه . قلت بعفوية :

— الاقنعة لا بد ان تتحطم !

خطا عني مبتعدا وهو ينظر الي مندهشا !

عدت الى ذهني المكدود متسائلا والقلب يقطر دما :

— هل انا مجنون ؟ انني املك عقلا . ولكن عفن الايام المغبرة قد هيمن علي !

عدت متقوقعا في وحدتي اجتر احزاني . لقد امضيت طوال يومي ابحث عن صديق .. ابحث عن الانسان حتى اشكو اليه اشجاني . لم اجد ذلك الانسان !!

دمعة تترقرق بين اجفاني ، ونفسي تهتف بحيرة :

— اين اصدقائي ؟ اين احبائي ؟ هل تبخر هؤلاء ؟! آه .. كم اشعر بتفاهتي وانحطاطي . انني لا شيء في هذا العالم !!

نسمة باردة تلفح وجهي ، وتجف الدمعة . القشعريرة تلامس صفحة جسدي المتآكل . غابت يداي في جيوبي ، ثم سرت دون هدف . اخذت اتصفح وجوه المارة بسذاجة ، ثم رمقت الابنية العالية بكدر .. وهدير السيارات يصم الاذان .

خاطبت نفسي بمرارة :

— الى اين ؟ والى متى وانا في هذا الضياع ! هل اعود الى البيت الكئيب ؟ واي بيت هذا وشبح الموت مخيم عليه .

دوار صغير في رأسي ، الاحساس بالتقيؤ يلازمني . اخرجت سيجارة واشعلتها . بعض صفاء الذهن يعاودني . احس اني غريب في هذا العالم . ولماذا ؟ لانني ضيعت كل ما املك ؟

فقيد الادب الشيخ فؤاد حبيش

خذهـــا معطرة تمـوج بخـافق ... جرح الهـوى في حسه الملهوف
ابياتهـا تدمـي وتعـزف آهتـي ... وكـآبتـي في خافقي وحـروفي
تدعـو على بعـد وتجرف شوقها ... يهفو الـى لقياك في « المكشوف »
يـا رائد الادب الرفيع وناشرا ... آلاءه بمحبـــة المشغـــوف
يـا باعثـا مـلء الثقافـة نهضة ... آتـت ثمـارا بالجنـى المقطوف
تتسابـق الاقـلام فيهـا حـرة ... وتجـوب دنيـا العلم والتثقيف
اوليتهـا جهـدا دؤوبـا مثمـرا ... وبنيـت تعلـي شاوها بمنيـف
رسخت اس النشـر في ارجائها ... فسمـا مـدى بنيانهـا المرصوف
ومنحت بالحرف المثقف نعمـة ... زخـرت بمختلـف المنى وصنوف
مـاذا اعـدد ان نطقـت كعاجز ... ومقصـر بيـراعـه المضعـوف

خذهـا وان ادميـت فيها حرقتي ... وبلـوت شجـو كآبتـي بالـيـف
تتنـاثر الاوهـام طـي مشاعري ... وتعـود باللحـن الشجي المعزوف
وتعيـد لي شوق الحيـاة وظلهـا ... وتـرف فـي سمعي حزين رفيف
اتساقط الانداء تجـرف خاطري ... للواحـة الظماى وعـري سجوف
شبـح من الاهواء يهتـك حرمتي ... ويعيدنـي للـواقـع المـألـوف
فأروح اسلـخ من فـؤادي طعمة ... للعـدم يمـزج ادمعـي بنزيفـي
هـذا الـذي مرغتـه بتمـردي ... يأبـى ويحـذر ان اعيد صدوفي
يـا جعبـة الاحـلام يا نهب المنى ... مـاذا اداري مـن عبـور حتوفي
انـي ومـا منحت منـاي كسابح ... فـي وهمه او في دم منـزوف

ذكـراك ما صنعت يداك فمجتني ... متـوارف مـن يانعات قطـوف
تحيـا وللخلـد المزغـرد فرحة ... ولنـا كـآبـة واقـع مجـروف
خذها فما ملكت يداي سوى اسى ... يغـزو فـؤادي مولـعـا بصروف

حلـب

توفيق اليازجي

رفعت يدي محييا من وراء الزجـاج عساه يلمحني ، ولكن نظراته المتعالية تأبى ان تبصر قامتي !

انني لست قزما !

رفعت يدي ثانية لعله يبصرني . اخيرا تعانقت النظرات . حاولت ان استثيره ، اريد ان اقص عليه مـا حدث لي ، مضى زمن ولـم اره ، طفرت الكلمة من فمي بعفويـة ، وسرعانما اغرورقت عيناي بالدموع. قلت متوسلا :

ـ فؤاد ! امي ماتت !

لم اجد استجابة . صحت ثانية :

ـ امي ماتت يا فؤاد !

تذكرت اني اصيح من وراء زجاج، وصوتي يضيع مع ضوضاء الشارع !

رباه .. كم احس بخزي وانـا اتصفح هذه الوجوه . ولماذا هـذا الشقاء الذي كتب علـي ؟ الخجل يصبغ ملامحي .

لست ادري ماذا افعل ؟ لملمت نفسي مبتعدا كهبة ريح ، كم تمنيت ان تغور الارض بي !

حشرجة تكاد تمزقني .

بعد عناء . ساقتني خطواتـي المتعبة بعيدا عن الاضواء . بعيـدا عن الانسان ! الهواجس المقوتة تنخر عظامي .

ما زلت اجتر احزاني وحيدا .. بائسا .. احس بالغثيان .

★

برودة تعم الارجاء .

ظلمة قاتمة ترمي بغلالتها علـى الزقاق الخلفي للمقهى . خطواتـي البائسة اسمع صداها .

قطة تموُ .

التقطها برفق . اخذت اداعبهـا ببراءة .

القطة تغتبط بمؤانستي .

قلت لها بصوت اجش والدمعـة تطفر من عيني :

ـ امي ماتت !

حلب

نادر السباعي



محمود الحسنية

من أدب النعال في النظيم والنثير

بقلم محمود الحسنية

* * *

هذا اللون من الادب الذي دبجت معالمه ، وطرزت حواشيه شباة اقلام ادباء مجلة الاديب الغراء ، قد اضيف الى ظرفه ظرف ، وطرافته طرافة ، وبات يروى ويتلى دون كلل وملل ، منذ ان فتح بابه الكاتب اللوذعي وديع فلسطين في عدد ايلول من عام ١٩٦٩ بالبيت المأثور الشاعر الملهم ، المرهف الفكر والحس ، نزار قباني :

واذا اصبح المفكر بوقا   يستوي الفكر عندها والحذاء

وقد اصبح يضم الان مجموعة قيمة مؤلفة من ستة وثلاثين مقالا ، بين جديد فكه ورصين ماتع وملتزم . كان منها لاديب النيل عشرون ، هي درر ما نظمت اقلامه ، وسحر ما نثرت الفاظه ، وما بقي من درر النظيم والنثير ، تقاسمه وحلى بديعه ومعانيه كل من الادباء المذكورين ، وفق تسلسل تاريخ النشر ، عبد العليم القباني ، الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي ، جوزف نعمه ، عبد الخالق عبد الرحمن ، عيسى فتوح ، علاء الدين سيد احمد آغا ، وحيد الدين بهاء الدين ، زكي قنصل ، عبد الرزاق الهلالي(٢) ، عبد الستار جواد ، حسين علي محمد ، محمود الحسنية (٢) ، جورج ديمتري سليم ، يوسف حسين بكار .

وما دام استاذنا الجليل البير اديب ، مشرع ابواب مجلة الاديب الغراء ، لنشرها اللون من الادب فقد تصبح القطرة غيثا ، والغيث فيضا ، وتضطر ادارة حانوت ادب النعال الى تخطيط لحوانيت جديدة ، حيث يجدر بالكاتب الالمعي الوديع ، الموحي الى ولوج هذا المضمار ، ان يؤلف منه كتابا ، يضفي عليه من سحر بيانه . وقد لا يفوته حذف المقاطع المضاعفة مما نشر منه .

وهذا اللون من الادب لا يقتصر الولوج اليه على طائفة معينة ، فكما يلجه شيوخ الادباء ، وفحول الشعراء ، وجهابذة الكتاب ، يلجه الصغار منهم ، وهكذا نراه مبثوثا في مؤلفاتهم القديمة والحديثة ، بصور طريفة ، واشكال منوعة المبنى والمعنى ، فتارة يظهر رصينا متزنا ، وتارة يظهر مفرطا في الدعابة ، حتى درجة التجريح ، دون تمييز بين منظومهم ومنثورهم .

يذكر عميد الادب العربي طه حسين ١٨٨٩ ــ ١٩٧٣ الذي لبى نداء الخالق غب نشوة نصر تغتبط بها الامة العربية من المحيط الى الخليج ، في جولة من ثأر ضد عدو متغطرس .

انه لما كان بالازهر بالعمة والجبة والقفطان ، صحب مرة صديقا يسكن غرفة في حي « القلعة » من القاهرة للتداول في بعض شؤون الادب ، وامام تلك الغرفة فتح له رفيقه الباب وصاح : « اخلع نعليك فقد بلغت الغرفة الحرام ! .. » فانحنى الى حذائه يريد ان يخلعه ، وهو الذي تعود خلع الحذاء مرات في كل يوم حين كان يختلف الى الدروس في الازهر ، او في جامع محمد بك او جامع العدوي ، او في جامع الاشرف ، حيث كان يستمع الى دروس الاصول والفقه والنحو والمنطق . كما تعود خلع الحذاء ، حين كان يزور بعض الدور ، لا سيما دور شيوخه العلماء .

ولم يكد ينحني الشيخ الازهري على حذائه ليخلعه حتى امتلأ الجو بضحك عريض مدو ، ثم امتدت اليه يد صاحبه فردته الى اعتدال القامة قائلا : ماذا تفعل ؟ ... افتظن انك في الازهر ؟ ... هذا كل ما علمته من البيان ؟

فاجاب في شيء من الدهش عظيم : « واي غرابة في ان تخلع النعال عند ابواب الغرف ! .. واين يكون البيان وابوابه من خلع النعال ؟ ... » قال الصاحب لم ارد ان تخلع نعليك ، وانما اردت ان تكبر هذه الغرفة التي بلغتها والتي ستدخلها لانها غرفة العلم والادب ، ومستقر الاسفار والكتب .

ومن الحكايات المشهورة التي دونها ابن خلدون ، ان الحكيم ابو بكر بن باجه ٤٧٥ ــ ٥٣٣ هـ ، ١٠٨٢ ــ ١١٣٨ م ، حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سر قسطه فالقى علي بعض قيناته موشحة يمدح فيها ابن تيفلويت ، مطلعها :

جرر الذيل ايما جر   وصل الشكر منك بالشكر

وختمها بقوله :

عقد الله راية النصر   لامير العلا ابي بكر

فلما سمعها ابن تيفلويت ، صاح : واطرباه ... وشق ثيابه ، وقال لابن باجه : ما احسن ما بدأت وختمت ، وحلف الايمان المغلظة : لا يمشي ابن باجه الى داره ، الا على الذهب ، فخاف الحكيم سوء العاقبة ، واحتال بان جعل ذهبا في نعليه ومشى .

ومن مرثاة ابي العلاء المعري ٣٦٣ ـ ٤٤٩ هـ لوالدته

سمعت نعيها صمى صمام   وان قال العوائل لا همام

قال في وصف اسد :

وقد وطىء الحصى ببني بدور   صغار ما قربن من التمام
أمحتذى الاهلة غير زهو   سلبت من الحلي شهور عام

انتعل الاسد الاهلة ، من غير ان يزهى بها ، شبه مخالبه بالاهلة ، فكأنه سلب شهور العام ثم تحلى بها وجعلها مخالب .

ومن اللزوميات في فصل الكاف المكسورة مع الراء يقول :

اشراك ذنبك والهيمن غافر   ما كان من خطأ سوى الاشراك
ما بال دينك ناقص آلاته   والنعل ما نفعت بغير شراك
وعراك رازية الحقوق فلم تقم   للحق الا بعد طول عراك

وقال يهنيء بعض الامراء بعرس من قصيدة في سقط الزند مطلعها :

لولا تحية بعض الاربع الدرس   ما هاب حد لساني حادث الحبس
هل تسمع القول دار غير ناطقة   وفقدها السمع مقرون الى الخرس
لانسينك ان طال الزمان بنا   وكم حبيب تمادى عهده فنسي
يا شاكي النوب انهض طالبا حليا   نهوض مضنى لحسم الداء ملتمس
واخلع حذاءك ان حاذيتها ورعا   كفعل موسى كليم الله في القدس

تعظيمها لهذه الديار متى قابلتها اخلع نعليك فانها قدست صاحبها ، كما فعل موسى حين وافى الوادي المقدس اشارة الى قوله : في سورة طه (اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى) .

ومن اللزوميات يقول في الفاء المكسورة المشددة :

وليس علي غير بلوغ جهدي   وضيفي قانع مني بضف
اذا استثقلت اثوابي ونعلي   فثقلي في التجرد والتحفي

الضف : ان يحلب ضرع الناقة بيديه او يجمع بين خلفين منها في يد واحدة .

ويروي صاحب رغبة الامل من كتاب الكامل لسيد بن علي المرصفي ان معبدا الذي رواه الاصبهاني في اغانيه بسنده عن يونس الكاتب ، سمع رجلا يقول : ان قتيبة بن مسلم ٤٩ ـ ٩٦ هـ والي خراسان ، فتح سبعة حصون ، او سبع مدن بخراسان ، منيعة وصعبة المرتقى ، عرفت باسمه . فقال : والله قد صنعت سبعة الحان ، كل لحن منها اشد من فتح تلك الحصون وعرفت هذه الحصون فيما بعد بمدن معبد ، او حصون معبد المغني ، وهي :

١ ـ لئن شطت بعتمة دارها
٢ ـ وهريرة ودعها وان لام لائم
٣ ـ ورأيت عرابة الاوسي يسمو
٤ ـ وكم بذاك الحجون من حي صدق
٥ ـ لو تعلمين الغيث ايقنت انني
٦ ـ ويا دار عبلة بالجواء تكلمي
٧ ـ ودع هريرة ان الركب مرتحل

وهذه الاخيرة قصيدة طويلة تجاوز السبعين بيتا ، جاء فيها :

حاوزتها بطليح جسرة سرح   في مرفقيها اذا استعرضتها فتل
اما ترينا حفاة لا نعال لنا   انا كذلك قد نحفى ونتنعل
فقد اخالس رب البيت غفلته   وقد يحاذر مني ثم ما يئل
وقد اقود الصبا يوما فيتبعني   شاو مشل شلول شلشل شول

شلشل وشول = خفيف الحركة في السير والعمل .

وقال مؤلف الاعشى ، احمد بن علي بن احمد الفزاري القلقشندي ٧٥٦ ـ ٨٢١ هـ ، ١٣٥٥ ـ ١٤١٨ م من قصيدة طويلة يمدح بها قيس بن معد بن بكر بن جبلة الذي ينتهي بنسبه الى ابن الحرث الكندي :

رحلت سمية غدوة اجمالها   غضبى عليك فما تقول بدالها

ثم يصف الجزور :

بهماء موحشة رفعت لعرضها   طرفي لاقدر بينها اميالها
بجلالة سرح كان بغرزها   هرا اذا انتعل المطي ظلالها
عسفا وارقال الهجير بدالها   خدما تساقط في الطريق نعالها
كانت بقية اربع فاعتمتها   لما رضيت مع النجابة آلها

السرح والسارحة = الماشية ، غرز الناقة = كالحزام والركاب للفرس . خدماء = حجلاء والخدم بياض التحجيل للفرس وغيرها .

وفي الغيث والادباء ان الشريف المرتضى كان جالسا في علية له تشرف على الطريق ، فمر تحته الشاعر غيث بن المطرزي ، يجر نعلا بالية تثير الغبار فأمر باحضاره لمداعبته فلما حضر ، قال له : انشدني ابياتك التي تقول فيها :

اذا لم تبلغني اليكم ركائبي   فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها ، فلما انتهى الى هذا البيت ، اشار الشريف الى نعله البالية ، وقال له : أهذه كانت من ركائبك ؟ ... فاطرق المطرز ثم قال : لما عادت هبات سيدنا الشريف ايده الله الى مثل قوله :

وخذ النوم من جفوني فاني   قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ما ترى ، لانك خلعت ما لا تملكه على من لا يقبل ، فاستحى الشريف منه .

ومدح صاحب الموشحات الاندلسية ، احمد بن عبد الله ابي هريرة ، المعروف بالاعمى التطيلي ، المتوفي سنة ٥٢٠ هـ كما ذكر الدكتور جودت الركابي في « الادب الاندلسي » بقصيدة مؤلفة من ثمانية وسبعين بيتا ، صاحب المغرب علي بن يوسف بن تاشفين في احدى معاركه بالاندلس :

بين سمر القنا وبيض النصال   طرق المهتدين والضلال
محرم يستحيل كل دم بسل   ببسل من حكمه وحلال
يترك المعلمين في الحرب كالبدن   وما اعلموا به كالنعال
يخلع الغمد والحمائل معتاضا   بلبس الاشلاء والاوصال

البسل = الحرام ، المعلمين = الابطال المشهورين

قلب معذب

هفوت واحداق الرغبات شواخص ... لدنيا بها ثغر المـنى متـورد
وحمت اشتياقا حولها حوم عاشق ... لكـل جمال في الدنـى يتصيـد
وعانق ضوء الحب نجم صبابتـي ... وجف غدير الحزن وانثال صرخد
وفي مقلتـي قـد شع فجر مآرب ... لاوتـار قلبي العـاطفـي تهدهد
فانسج حلمي من هوى جامح الرؤى ... عليه سنى نجم تهاوى وعسجـد
وتبحـر اشواقي بعيــن حبيبتي ... وانهـل من كأس الهـوى وازود
واشـرب من نثرات عطر مسلسل ... وغيمـة نور في غـدي تتـوسد
ومن نبضات القلب والروح يرتوي ... قصيدي الذي فيه الجراح تضمد

ايا شعر ان الهم يمخـر في دمي ... وللقلب اشباح الجوى تتـرصـد
وفي لجة الذكرى تغوص خواطري ... وفي ليلـي الساجي اسى اتهجد
مرافيء افراحي عليهـا تواجدت ... سحائـب حزن بالنـوى تتـأود
وغمغم ليـل معتـم في ملاحنـي ... وباتت زغاريـد الهوى تتبـدد
جراحات امسي خضبت حلكة الدجى ... وغام رجائي وانجلى عنـه فرقـد
وشمت من الاحزان مايبعث الشجا ... فهل لي مع الاحزان قد كان موعد
ويخضل قلبـي في مـدامع آهتي ... ومـا انـا الا ضائـع ومنكـد
وشاهت وجـوه الحاقدين فانني ... لكـل احـابيـل العدى اتجلـد
ساصمد في وجه الخطوب وان غدت ... لاجهـاض احلامي الخطوب تجند

بغداد

خضر عباس الصالحي

في الحرب ، البدن = الجمال ، وما علمـوا بــه = اي شاراتهم العسكرية والحربية .

ثم قال يخاطب حسناء :

ومكحولة بالسحر ترنـو بمقلـة ... يود الدجى لو ناب فيها عن الكحل
وقد اهبط الشعب القليل انيسه ... بطانسة الاعلام دارسة السبـل
يبيـت القطا فيها عن الماء شاردا ... ولو بات منه كالشراك من النعـل

بات كالشراك من النعمل ـ كناية عن القرب .

وقال مخاطبا ابا الحسن من بيان السبتي يصـف ظباء وقطيع سقـاب :

تراع من السقـاب اذا رأتهـا ... وتشتاق الازمـة والرحـالا
وقد الفـت بنات القفر حـتى ... حسبت الفـول يحذيها النعالا

تراع = قطيع ، السقاب ـ ولد الناقة .

وله من قصيدة قوامها مايتان واربعة عشر بيتـا يصف فيها احتدام معركة :

اركب اذا دارت رحـاهـا وانـزل
وقـل اذا صـم صـداهـا وافعـل
ويتقـي الارض بمثـل المعـول
لا يشتكـي الـوجى وان لـم ينعـل
ذو مسمـع حشـر وقلـب اوجـل

دارت رحاها = رحى الحرب ، الوجى = الحفاء .

ومن قصيدة لاحمد الصافي النجفي نزيل لبنـان يقـول فيها لسامعه :

ولا ابتغي مستحسنـا بل مدققـا ... لينفذ شعري منه في العقل والنفس
ولكن متى حصلت بالجهد سامعا ... بماسح نعل ابل او محتـذي فلس
فيسحب مساح الحذا رجل سامعي ... فادعو به يا علة الرجل والـراس
تباعد فقد قطـعت فكري وفكـره ... فافقدتني سكرى وكدرت لي انسي

ولصديقنا الشاعر محمد يوسف حمود ، في ادب النعال قول مأثور : اضيق حالات المرء : ضيق في الجيب، وضيق في الحـذاء .

ومع ختام هذا المقال ، آمل من الذي يحدق ويحدج بهذه النعال بعد ان اتسع حانوتها وتألقت فيه ان لا ينظر اليها شزرا ، فقد ينتعلها الادباء الذين لا يحسنون حمل السلاح ، لرفس ذلك العدو الذي يلاحقه ابطالنا في سيناء وفي مرتفعات الجولان بالحديد والنار وركل النعال .

محمود الحسنية



التاريخ السري للمسرح قبل ثورة ١٩

تأليف الدكتور رمسيس عوض ـ ١٣٢ صفحة ـ مطبعة الكيلاني بالقاهرة

هل كان المسرح المصري منعزلا عن آمــال الامة في الحرية والدستور والاستقلال قبل ثورة ١٩١٩ ... ذلك سؤال كثيرا ما يبدو امامنا ... وكثيرا ما يتوهم البعض بأن المسرح المصري في سنواته الاولى كان بعيدا كل البعد عن اماني الامة ..

بيد ان المؤلف يرى رأيا مغايرا لهذا الراي تماما .. فهو يرى ان المسرح المصري لم يكن منعزلا عن اماني الامة وآمالها .. وهو يحاول بجد واخلاص ان يبرهن على صدق ما ذهب اليه ، ويؤكد بدلائل لا شك فيها ما يفترضه منذ البداية .

ولقد كان المؤلف صريحا فلم يعد القارىء بشيء اكثر من ذلك ، فهو يقول صراحة بان البحث لا يتضمن تحليلا نقديا او ادبيا .. وعذره في ذلك ان معظم النصوص المسرحية لا تتوفر للدارسين .. ولا يفوته أن يدعو اجهزة الثقافة في مصر للبحث عنها وجمعها لكي تكتمل الفائدة.

والكتاب يضم فصولا ثلاثة ، يحدثنا المؤلف في الفصل الاول عن بعض المسرحيات الوطنية المصادرة ، وفي الفصل الثاني عن مسرحيات لم تصادر ، اما في الفصل الثالث فيعرض ويناقش لبعض القضايا المسرحية التي ظهرت في ذلك الحين ...

ومن المسرحيات التي صودرت مسرحية « عرابي » ولقد سمحت السلطة في ذلك الوقت بتمثيل النص المسرحي الذي يمتدح عرابي، ولما بدأت تحس بالخطر يتهددها بسببه ، قررت مصادرته .

ولقد كانت ظروف هذه المسرحية بالذات غير واضحة تماما ، بل انها كانت مبهمة وغامضة الى حد كبير ، وفي مقابل ذلك فان ظروف مسرحية اخرى قد صودرت ، وهي مسرحية « دنشواي »، لم تكن غامضة ، بل كانت شديدة الوضوح ، ذلك لان هذه المسرحية كانت ذات طابع قومي واضح يمس حياة كل المصريين .. واذا كان الناس قد اختلفوا فيما بينهم في نظرتهم الى عرابي ، فقد اتحدت نظرتهم حين رأوا جميعا بشاعة ما فعله الانجليز في دنشواي ..

وبالرجوع الى الاخبار التي جاءت في صحيفة « اللواء » نجد ان الحكومة قد اصدرت أمرا يمنع تمثيل هذه الرواية ، حتى لا تزيد الناس اشجانا واحزانا ، وحتى لا يروا هول وفظائع المستعمر ، بيد أن هذا لم يثن من عزم مؤلف الرواية ، فعاد ، وظهرت روايته بعنوان آخرهو « صيد الحمام »... وعادت الحكومة فصادرت الرواية ثانية... مما جعل المؤلف يحتج على المصادرة ويسخر من الحكومة ... قائلا : ان هذه السلطة اذا كانت قد اقترفت فظائع دنشواي في الواقع، فلماذا تعترض على مجرد تمثيلها على خشبة المسرح..؟

ويحدثنا المؤلف عن مسرحية ثالثة هي مسرحية «في سبيل الاستقلال» من تاليف ابراهيم سليم النجار ، تلك المسرحية التي صودرت ولم يدم عرضها اكثر من ليلة واحدة ، ولعل احد اسباب المصادرة هو ما كتبه احد النقاد عن المسرحية فاستعدى الحكومة على مؤلفها .. بيد ان الاهرام طالعتنا بمقال يشيد بالمسرحية من حيث امانة موضوعها التاريخي ، بالرغم من عدم صلاحيتها من الوجهة الفنية البحتة ..

وعادت الرقابة مرة اخرى فعدلت عن رأيها واجازت تمثيلها في نهاية الامر ..

ومن بين المسرحيات التي صودرت مسرحية « شهداء الوطنية ».. في بادىء الامر لم تكن هذه المسرحية تثير تخوف السلطة الحاكمة أو تدعوها القلق ، لذلك صرحت بتمثيلها بلا حرج او خوف ، كان ذلك بين عامي ١٩٠٠ ، ١٩٠٥ ولكن في عام ١٩٠٦ تدخلت السلطات تدخلا سافرا وصادرت التمثيلية ومنعت تمثيلها .. حدث ذلك بسبب تغير الجو السياسي وردود الفعل عند جمهور المسرح ، اذ كانت فترة المطالبة بالحرية قد تبلورت في ذهن الشعب المصري ... فخافت السلطات من انفجار أسباب الثورة .. ولذلك كان المنع ...

وبعد هذا الذي حدث قدمت جمعية مرقاة التمثيل بالاسكندرية نفس المسرحية ، فعادت الحكومة مرة اخرى فصادرت المسرحية، ولكن قرار الحكومة لم يكن سوى حبر على ورق ، اذ ان بعض اجواق التمثيل استمرت في تقديم المسرحية متجاهلة قرار الحظر وضاربة بـه عرض الحائط ، بل ان جريدة « المحروسة » أشادت بفضلها وراحت تحث قرائها على مشاهدتها ، وعلى أي حال فقد كان ذلك مقاومة للسلطة وأن يكن بطريق غير مباشر ، وتحول المسرح من منتدى للفن الى منتدى سياسي يلعب فيه التمثيل دورا يكاد يكون ثانويا . وكانت تقـدم مسرحيات بريئة ، توافق عليها وترضى عنها السلطة ، وفي الوقت نفسه تسمح للخطباء باعتلاء خشبة المسرح والقاء خطب نارية وكلمات ملتهبـة في تمجيد الحرية ... فكانوا بذلك يحثـون الناس على الثورة والمطالبة بالحرية ..

ولم يكن هذا وحده هو مظهر الاستخفاف بالسلطة ولكن المسرح المصري كان يقدم تمثيليات يسخر فيها من اصحاب الرتب والنياشين، وكان ذلك مظهرا آخر من مظاهر الاستخفاف ..

كل ذلك ادى الى التدخل السافر في المسرح فكان البوليس يذهب الى المسارح ويراقبها ويعاقب من يقف ليخطب في الناس ، ولم يكتف بذلك بل سن القوانين التي سنتها السلطة لم تكن تهدف المسرح فقط بل ارادت قمع حرية الفكر في المسرح وغير المسرح ..

وامتد القمع الى مصادرة ديوان « وطنيتي » لعلي الغـاياتي . وراحت السلطة تغلق المسرح وتطرد الجمهور اذا ما رأت خطيبا قد وقف ليخطب فيه ...

ولم تسكت جريدة « اللواء » بل فضحت السلطة وكشفت النقاب عن مخططها الذي يهدف الى تشويه سمعة مصر الاقتصادية، والاساءة اليها في الخارج ، وبينت المتناقضات التي تقع فيها الحكومة فهـي تسمح لاجواق اوروبية بتمثيل مسرحيات تبارك وتؤيد القتل في سبيل الوطن وفي الوقت نفسه تغلق مسرحا مصريا اذا تحدث خطيب فيـه عن الحرية ..

وهكذا كانت الحكومة تقابل الناس بالضغط والشدة ، وقد قال سبنسر مرة ان الحيلة بنت الظلم والاستبداد .. لذلك فان هذه المعاملة قد جعلت الناس يتحايلون على القانون ، لان التحايل عليه امر سهل وميسور ، ذلك لان الحكومات اعجز من ان تقيد ارواح الامـم ...

ودعت « اللواء » الى الاحتجاج الهادىء المنظم ... فبدأ الـرأي العام يضغط على الحكومة مما اضطرها الى التراجع عن موقفـها .. فسمحت بتمثيل المسرحيات التي كانت تنتقدها .. بيد ان التراجع لم يدم طويلا ، فعادت سياسة القمع من جديد بصورة اقسى وأشد ..بل تفتق ذهن الحكومة عن حيلة للقمع اشد دهاء ومكرا ... فكونت جهازا

للرقابة اشركت فيه الادباء مع نظارة الداخلية للاشراف على ما تعتزم ان تقوم به من قمع وارهاب...

وكان لاسم مصطفى كامل وقع خاص على آذان البوليس ، وكان مجرد ذكر الاسم على خشبة المسرح يثير القلق في السلطة ، وعندما وقف مرة احد الادباء ينشد زجلا يقول فيه .. اننا نريد من المرأة المصرية :

تفيث وطنها بواد عامل   يخلف لنا مصطفى كامل

وما كاد ينتهي من كلامه حتى صفق الجمهور تصفيقا حادا ، مما جعل مأمور قسم الازبكية ينتهر الزجال ويقسو في معاملته ، فاضطر الى النزول عن المسرح...

ولم يرض هذا العمل جريدة « اللواء » التي علقت على ما حدث، وتحدت السلطة ، واعربت عن أسفها لان جريدة « المؤيد » قد اخذت على عاتقها مهمة الدفاع عن تصرفات الحكومة ومحاولة تبريرها ...

ومن الغريب ايضا ان صحيفة « الوطن » ايدت هي الاخرى الحكومة في قتلها لحرية المسرح ، وراحت تبرر حملات القمع التيشنتها الحكومة على المسرح وحريته ...

وسط هذا كله اصدرت الحكومة لائحة خاصة بالمسارح، وخصصت مكانا لضابط البوليس في كل مسرح ، بيد ان هذه القوانين كانت قاصرة عن اخماد روح الثورةفي نفوس المصريين ، يبين ذلك بجلاء ما حدث بعد اصدار هذه اللائحة ، وحين قبض البوليس على شاب كان يخطب على المسرح ، وتجاه هذا وقفت « المؤيد » موقفا وسطا فانحت باللائمة على مدير المسرح لعدم تدخله ، كما انحت باللائمة على الشبان الذين يرتجلون الخطب بسبب اندفاعهم وتهورهم ، ودعتهم الى الكف عن ذلك ، والى ارسال ما يريدون ارساله الى الصحف لنشره فهذا هو مجالها وليس المسرح...

ولم تكن كل هذه المسرحيات التي قدمت في هذا الوقت ، واذا كان حظ هذه المسرحيات وغيرها هو انها صودرت ، فقد كان لها اخوات لم تصادر من بينها مسرحية « الغيرة الوطنية » و « ابطال الحرية » و « كيف ينال الدستور » و « مصطفى كامل »، واذا كان ذلك يدل على شيءفانما يدل على ارتباك السلطة وعجزها عن مجابهة ذلك المد الثوري الذي كانت ثورة ١٩١٩ نتيجة طبيعية وحتمية له ...

وحدث في ذلك الوقت ايضا ردود فعل اجتاحت الامة المصرية نتيجة لما حدث في تركيا فيما يعرف بالانقلاب الدستوري ... ويستفاد مما كتبه مؤرخو التاريخ ان التغيير في السياسة المصرية اتخذ صورتين: تنمية الاتجاه المصري أي أن تكون مصر للمصريين ، ومطالبة المصريين بدستور كامل وحكم نيابي ...

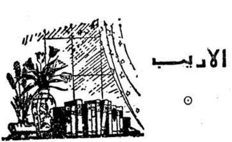
ولقد تأثر المسرح المصري بهذا كله وكانت نتيجة تأثره ان كتب انطون الجميل مسرحية « ابطال الحرية ».

وما جاء في الصحف عن هذه المسرحية في ذلك الوقت يتفق جميعه على ان جو الحفل كان مشحونا بالكهرباء السياسية، وان كل ما دار في الحفلمنالقاء الخطب وانشاد الشعر لم يكن الا مظاهرة سياسية ...

ومما يدل على ان الانقلاب الدستوري قد ألهب خيال المصريين هو ان المسرح المصري قد شاهد مسرحية اخرى هي « فتاة الدستور»، وهذه المسرحية هي الاخرى حازت اعجاب الجمهور ...

وبعد ذلك شاهد جمهور المسرح المصري مسرحية « الدستور العثماني » ومسرحية « في سبيل الدستور »، والمسرحية الاخيرة مستمدة من الادب الفرنسي ، الذي كان هو الاخر مصدر الهام للمسرح المصري ...

وكتبت الصحف عن مسرحية « في سبيل الدستور » تقول انها تمثل ما لاتحاد كلمة الشعب من القوة والتأثير ولكن احد النقاد «لم يذكر اسمه » انتقد هذه المسرحية في مقال نشرته جريدة « الاهرام »، وكان نقده ـ فيمايقول المؤلف ـ رغم بساطته الظاهرة يثير كثيرا



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي

٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل. ل. كحد ادنى

في الخارج : ٨٠ ل. ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819

المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير أديب

من القضايا الفكرية التي ما تزال تشغل بال كبار المفكرين حتى اليوم ...

الى جانب هذه المسرحيات نجد مسرحية « مصطفى كامل »، ولقد نشرت جريدة «الاهرام» ما يبين انها من تاليف المرحوم مصطفى كامل نفسه ، ولكن نشر « اللواء » خبرا جاء فيه ان هذه المسرحية من تاليف عبد الحميد افندي كراره ...

وقبل ان يبدأ تمثيل هذه المسرحية اشادت بها جريدة « اللواء » ولكن بعد ظهورها على المسرح عادت جريدة « اللواء » نفسها فانتقدتها نقدا شديدا ، وقالت عنها انها سقيمة الشكل ، تافهة الموضوع ، سخيفة الادوار .... كما انها الحقت بالممثلين تهمة الجهل المطلق بأبسط قواعد فن التمثيل ... وقالت في النهاية رغم هذا فان المتفرجين كانوا كلما ذكر اسم مصطفى كامل هتفوا وصفقوا ، وهذا يدل على الوعي والاحساس ورقي الشعور ....

تلك كانت بعض المسرحيات التي لم تصادر ، بالرغم مما فيها من مطالبة بالحرية والدستور ، وبالرغم من انها كانت تحث الشعب على المطالبة بحقوقه ...

وفي الفصل الثالث والاخير من هذا البحث الشيق ... يحدثنا المؤلف عن بعض القضايا المسرحية التي شغلت الناس في ذلك الوقت، واولى هذه القضايا هي « جوق السيدات » فلقد عرف المسرح هذه التجربة الفريدة من نوعها وكانت هذه التجربة ظاهرة تستحق الاهتمام والبحث ، فتكونت اول فرقة تمثيلية من النساء ، ولم يكن من حق الرجال الاشتراك فيها ... ولقد قدمت هذه الفرقة مسرحية «متريدات» لراسين .

ويرى الباحث ان لهذه التجربة الفريدة في المسرح المصري دلالتها الاجتماعية ، فهي تعبر عن تجمع نسائي يمثل نوعا من الاعتراض على سيادة الرجل ورغبة في التحرر من سلطانه وربقته ، ان هذا في حد ذاته ليس سوى تحرش بالرجل ومحاولة لمعاملته معاملة الند للند ..

بيد ان هذا الجوق النسائي الذي حاول ان ينافس اجواق الرجال عجز عن المضي في الطريق ، وتعثر ..

ومع ذلك فان الباحث الاجتماعي في مصر اذا ما حاول ان يسبر غور هذه التجربة فسوف يكشف لنا عن التفسير الحقيقي لها .

ولقد شغلت الباحث قضية اخرى هي نقابة الممثلين ، التي بدأ التفكير فيها عام ١٩١٥ ، لتدافع عن حقوق الممثلين وتضمهم تحت لوائها ، ولكن تعذر وضع الفكرة موضع التنفيذ بسبب اسلوبها المقترح.

ولم يمض عامان حتى تكونت النقابة بالفعل ... ولكن من سوء الحظ ان كسادا حدث في سوق التمثيل في هذا الوقت بسبب الاحوال التي عمت البلاد .. وكان كنتيجة لذلك ان انحلت فرقة عبد الرحمن رشدي وغيرها من الفرق ، وخلت مصر من كافة انواع التمثيل الراقي.

واذا كان الممثلون قد عانوا كثيرا مما دعاهم الى تكوين نقابة ، فان المغنين قد عانوا اكثر منهم .. وتحت ضغط الحاجة قاموا بانشاء نقابة لهم للدفاع عن حقوقهم المشروعة ، واذا كانت نقابة الممثلين قد فشلت في عملها ، فان نقابة المغنين قد اثبتت صلاحيتها وفاعليتها ، ذلك انها استطاعت ان ترد لاعضائها بعض حقوقهم ، وجمعت النقود وساعدت المتعطلين منهم ..

هذه هي بعض القضايا التي ناقشها الباحث في كتابه ، ولكن لا بد من سؤال نطرحه اخيرا ... هل برهن الباحث على ما افترضه من ان المسرح المصري لم يكن منعزلا عن اماني الامة وآمالها ..؟

أجل ... ان من ينعم النظر فيما قدمه الباحث من ادلة بعرضه للتمثيليات التي صودرت وكذلك التمثيليات التي لم تصادر ، وكيف وان هذه التمثيليات فتحت اذهان الناس ، ونمت شعورهم الوطني ، وحثتهم على المطالبة بالحرية ... واعطت لهم شحنات وطنية ملأت صدورهم وقلوبهم بحب الوطن والدفاع عنه ، والعمل على تحريره من ربقة الاستعمار ... ان من ينعم النظر في هذا كله لا يسعه الا ان يوافق الباحث رأيه .

لذا لم يكن غريبا بعد هذا ان تنفجر ثورة ١٩١٩ فتكون بمثابة الشعلة التي انارت الطريق ولم تنطفيء ابدا .

ان المسرح المصري لم يكن منعزلا عن اماني الامة وآمالها ، حتى وان بدا ذلك للناظر من بعيد او المتامل بغير تدقيق .

راضي حكيم — **القاهرة**

•

الاوزاعي ـ امام أهل الشام

تاليف طه الولي ـ عدد الصفحات ٢٥٤ ـ عدد الصور ٢٤ ـ اخراج « دار صادر » في بيروت

شاء وفاء العالم الاديب الشيخ طه الولي ان تكون له مشاركة علمية في تكريم الذكرى الخالدة للاوزاعي امام اهل الشام في عصره وعلى الاصطلاح القديم ، فالف كتابا قيما في هذا الولي الحميم الذي تعتز به بيروت لارتباط حياته ومكانته بتاريخها ، وكان مرقده الاخير في ضاحية من ضواحيها التي التصقت باسم شيخها المرابط المجاهد اذ كانت له مواقف بطولية ووطنية في حياته وسيرته ، ومناقب مأثورة في عقيدته ودعوته بالعلم والرأي لا يخشى فيهما قولة الحق امام الطغاة من الحكام الذين مروا ببيروت في زمانه ، وقد وقع في عهد العباسيين اضطراب في أمن لبنان حمل الولاة فيه على تشريد الذين كانوا سبب الفتنة ، ومن اخذوا بالقصاص دون ذنب فعلوه ، وفيهم بعض اهل الذمة من سكان الجبل ، فغضب الامام الاوزاعي للاضطراب وللعقاب ، وأرسل الى العامل العباسي الظالم قولا حكيما رده الى الحق والعدل وانقذ المظلومين من المسيحيين الذين عوقبوا بالجلاء عن أرضهم ومرابع قومهم فحفظ تاريخ لبنان هذه المأثرة فيما حفظ للامام الاوزاعي الذي فتح قلبه للبنانيين جميعا ، وكان لهم المعوان على الشدة والقدوة في السيرة والسجايا ، ولقد شاع ذكر الاوزاعي في بلاد الشام وغيرها من البلاد العربية والاسلامية حيث عاش فيها عالما ومعلما ، وكتب عن مآثره ومناقبه بعض الباحثين والمؤلفين في القديم والحديث ، غير أن هؤلاء لم يختصوه بكتاب واف بعلمه وعمله ، وان ما ظهر من مقالات وبحوث عن هذا الامام الصالح كان منقولا او مقتبسا من اشتات المؤلفات في الفقه والسيرة والتراث ، ولم يجمعه تاليف في دراسة علمية تتناول الجوانب المضيئة في حياة الاوزاعي وفي حقيقته وثقافته .

فهل جاء مؤلف هذا الكتاب الجديد « امام اهل الشام » بالدراسة المنشودة لسيرة الاوزاعي الذي احبه المؤلف وشارك في تكريم ذكراه ؟

لقد بذل الاستاذ الكبير الشيخ طه الولي جهدا كبيرا في البحث عن المصادر والمراجع التي استعان بها على تاليفه هذا ونوه بما وصل اليه منها ، وابت امانته العلمية الا ان يذكر بالخير والفضل كتبا ثلاثة ظهرت متاخرة قبل كتابه هذا ، منها الكتاب المشهور الذي نشره وعلق عليه الامير شكيب ارسلان في « محاسن المساعي في مناقب الاوزاعي» والكراس الذي لم يتجاوز الستين صفحة لعلم من اعلام المؤرخين في عصرنا هو انيس النصولي وبعده ظهر مؤلف الباحث المخلص شفيق طباره ولكم رأينا من المؤلفين المشهورين والمغمورين من لم يتعبوا انفسهم في التتبع والمراجعة قانعين بما وجدوا لدى غيرهم من المراجع آخذين من السابقين افضل ما تقدموا به في بحوثهم ودراساتهم دون ان يشيروا بسطور الى هؤلاء الذي تعبوا فيما كتبوا وحملوا المصابيح لمن جاء بعدهم من الباحثين ، وكان الاستاذ طه الولي في امانته العلمية كدأب العلماء الصادقين الذين كتبوا للحقيقة والتاريخ ، فلما تصدى لدراسة الامام

الاوزاعي في سيرته وثقافته الدينية وفي اخلاصه للعلم والدين كان كغيره من المؤلفين الذين لم يعثروا على مؤلف تناول بالدرس والتمحيص هذه الجوانب المتعددة في حياة الاوزاعي ومكانته وكل ما وجدوه كان تكرارا او مبعثرا في تضاعيف المؤلفات والبحوث فبذل الاستاذ الولي هذا الجهد الكبير الذي استطاع فيه ان ينقل القارىء الى تاريخ الامام منذ ثلاثة عشر قرنا حتى يومنا هذا فنسق بحثه هذا في فصول وابواب وبدأ في مولد الامام ونشأته وبيئته ووقف طويلا عند كلمة الاوزاعي والاوزاعية ، ومن بعلبك اللبنانية التي شهدت ميلاد الامام عام ٨٨ هجرية حتى رأينا المؤلف يمضي بنا من بلد الى بلد وقد غدا الاوزاعي عالما ومعلما ، لم يتوقف عن طلب العلم ، فمن العراق الى الحجاز ، ومنها الى اليمن والشام وغيرهامن عواصم العرب والمسلمين حتى استقر في بيروت وعاش مدة في دمشق حيث شاعت طريقته في القضاء والافتاء، وقد جاءفي التذكرة التيمورية نقلاعن الطبقات الشافعية للسبكي ما يأتي « كان القضاء في مصر للمالكية وفي الشام للاوزاعية حتى ظهر فقه الشافعي ... « ولم يكن يولى القضاء في الشام والخطابة وامامة الجامع الاموي الا من كان على مذهب الاوزاعي.»

على ان المؤلف المحقق الاستاذ الولي فصل القول في هذا الامر غير مقتنع بان للامام الاوزاعي مذهبا خاصا بالفقه كمذاهب الائمة الاربعة من اعلام الاجتهاد الفقهي في المذاهب الاسلامية وان بقيت «الاوزاعية» مذهب الشاميين زهاء مئتي عام حتى امتدت ظلاله الى الاندلس قرابة اربعين عاما ثم غلب المذهب المالكي في زمن هشام بن عبد الرحمن الاموي ، على ان المذهب الاوزاعي لم يكن له سند يحدده او كتاب يركن له وان ثبت ان عبد الرحمن الاوزاعي امام اهل السنة كان ذا فتوى يلتمس رأيه في مشكلات تشريعية او فقهية ، وقد اخذا منكتبوا عن ثقافته في التشريعة والحديث وعدوه من المشرعين ، وقيل ان الاوزاعي الف كتبا فقهية وصنف صفحات تشريعية ، لكنها ضاعت في الحريق او الزلزال الذي وقع في بيروت اثناء اقامته فيها ...

وكان لا بد للعالم العامل الاستاذ طه الولي من الحديث عن الثقافة الدينية التي عرف الاوزاعي بسعتها ، وعن اساتذته ومريديه ، ولكم كان جميلا منه وجليلا ان يلقي الضوء على هذه الناحية فيتوسع في الكلام على شيوخ الاوزاعي وعن الينابيع العلمية التي استقى منها ولا يكتفي المؤلف بما قيل فيها دون بحث او تمحيص ، ولعل الاوزاعي كان يؤثر ان يبني عقولا بالفقه والحكمة وان يؤلف افكارا في تلاميذه كما فعل كثير من اعلام الدين الذين آثروا التعليم على التأليف .

ومما زاد في مكانة الامام في عصره ان كان قائما بالتدريس والتوجيه في بيروت ودمشق ، وكانت بيروت في ايامه ثغر الشام ومرابط اهلها ، واليها ينفرون اذا استنفروا لصد العدوان عنها والطغيان فجاهد الامام في هذا السبيل وحفظ التاريخ له هذا الجميل على ترادف الاجيال والعصور حتى ان علماء الدين في بيروت جعلوا الفضل للاوزاعي في العناية بتلك الضاحية التاريخية لتكون مجمعا للمؤسسات العلمية الاسلامية وقد تعاون الزعماء والعلماء على حماية الاوقاف من جشع الطامعين في جعلها مصيفا وملاهي على الشاطىء الابيض المعتز بمرقد الامام وجامعه ووقاره .

والحق ان المؤلف الاستاذ الولي كان في هذه الدراسة اديبا في السيرة والتاريخ وباحثا اجتماعيا في كل ما يتعلق بمقام الامام الاوزاعي وقد ارتأى ان لا يبقى تكريم الذكرى الخالدة مقصورا على اهل هذه البلاد بالوسائل التي يتفنونها وانما ينبغي وفاء للامام الاوزاعي انتكون الضاحية المعروفة باسم مدينة العلم والعلماء ، وان يطلق اسمه على الدورات المجمعية والفكرية وانشاء مؤسسات دينية في العواصم العربية والاسلامية من اجله .

وكان من اهم اقتراحات الاستاذ الولي جمع الاجتهادات الفقهية للاوزاعي والاقوال المأثورة في الحكمة والاخلاق في كتاب وارى انيحقق الشيخ طه هذا الاقتراح بتأليف جديد فان مؤلفه القيم الذي حمل اسم الاوزاعي امام اهل الشام كان ينقصه هذا الجانب ، ومهما يكن الامر فان الاستاذ الكبير طه الولي جدير بالشكر والتقدير لجهده الضخم ودأبه في دراساته العلمية والتاريخية ، ولا ينبغي ان نهمل الاشارة الى الصور المتقنة في كتابه هذا فقد جاءت عناية المؤلف والخبرة الفنية في «دار صادر» بالتعبير عن محبة هذه الدار للامام ومشاركتها في هذا الوفاء .

دمشق — وداد سكاكيني

•

المجاز بين اليمامة والحجاز

تأليف عبدالله بن خميس ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

من بين العلوم التي اعتز بها العرب الاقدمون ، وحرصوا على تنميتها وتأصيلها وتطويرها علم الانساب ، وعلم تقويم البلدان .

واذا كان علم الانساب قد توارى قليلا بحسب مفاهيم العصر ، فان علم تقويم البلدان ما يزال يعيش ويترعرع ويتحور بفعل بقية صالحة من علماء هذا الفن ، يبذلون من أجله الجهود الشاقة المضنية، وينفقون في سبيله المال والزاد والراحلة .

وهم يمضون في سبيلهم افرادا، لا تسندهم دولة ، ولا يشدظهرهم جماعة ولا تجمع ، ولا تتلقفجهودهم هيئة علمية تنشر وتذيع وتوزع ، ذلك لانهم مؤمنون بانفسهم وبجهودهم الخالصة والمخلصة ، وبضريبة البناء الذي يبذلونه جادا لتبقى امتهم ، وتبقى لها العراقة والاصالة والامتداد في أعراق التاريخ نابضة نامية متوثبة .

ومؤمنون بضريبةالصدق والاخلاص وما تستدعيه من بذل وتضحية، لتخلص الكلمة العربية الصادقة، بما تقتضيها مقومات الصدق من أسس علمية تقوم على المشاهدة والمشافهة واللقاء ، الى جانب المراجع العلمية المدونة والمعتمدة .

من بين هؤلاء العلماء الاثريين والرحالة والمؤرخين وعلماء البلدان، الباحث السعودي عبدالله بن خميس ، صاحب كتاب «المجاز بين اليمامة والحجاز » وهو كتاب يذكرنا بالمؤلفات الغربية الموسوعية والمستوعبة في بابه .

وموضوع الكتاب ـ كما يقول مؤلفه ـ « ذكر ما يجتازه خطالسير او ما يبصره المجتاز يمينا وشمالا من اعلام الامكنة ، ارضا او واديا او جبلا او بلادا او منهلا او اثرا في المنطقة التي يجتازها المسافر بين اليمامة والحجاز » .

ويجري منهج المؤلف في هذا البحث على النحو التالي :

اولا : يورد العلم الذي يتحدث عنه ، ويضبطه بالشكل وربما بالحرف بعد تحديد مكانه .

ثانيا : يصفه وصفا موجزا ، ثم يورد ما قيل فيه من الاشعار التقليدية او الاشعار الشعبية .

ثالثا : يورد ما ذكره عنه علماء المنازل والديار .

رابعا : يشير الى ما يمكن ان يكون قد وقع من خلاف في تسميته او تحديده .

خامسا : يبين اين يقع هذا العلم بالنسبة للديار والقبائل قديما وحديثا .

سادسا : يشير الى ما وقع فيه او حوله من احداث او قصص او آيات قرآنية ، او احاديث نبوية او آثار او اخبار .

سابعا : يذكر ما كان مرادفا له ، وما حدث في اسمه من تحوير او تأثير .

وقد اعتمد المؤلف في بحثه هذا على مراجع اصيلة من بينها :
ـ مادته التي جمعها من معلوماته الخاصة .
ـ ثم ما تحويه المراجع المعتمدة ، وهي جمهرة مراجع جغرافية جزيرة العرب .
ـ ثم ما تلقاه من الرواة بالنقل او المشافهة .
ـ ثم رحلاته الخاصة التي التقى فيها بالعارفين في كل منطقة ، وما يتلو ذلك من تطبيق المعلومات على الطبيعة .

وفي المقدمة التخطيطية التي وضعها عبد الله بن خميس لكتابه « المجاز بين اليمامة والحجاز » يعود بالذاكرة الى عروبة هذا العلم ، ومدى اهتمام العرب الاقدمين بذكر المنازل والديار لحافز ذاتي من واقع حياتهم ، وتنقلاتهم ، وانتجاعهم ، وحنينهم ، وكيف كانوا يستوعبون دقائق المكان ، بما يحويه من روض ، وزهر ، وطير ، ونسيم ، ومياه ، وارض ، وسماء ، ورياح ، ومجالي ، واطلال .

وكيف احتفظ لهم هذا التراث برصيد ضخم لا ينفد من علومهم، وايامهم ، واخبارهم ، وانسابهم .

وحينما استرسل المؤلف في موضوعه ، وهو يطبق المعلومات على الطبيعة كما يقول ـ اخذ يحدثنا حديثه الشائق المستفيض عن اليمامة ، ووادي حنيفة ، والرغام او عريق البلدان ، ومن مراة الدوامي، وبين التسرير والدوامي ، ثم من الدوامي الى عفيف ، ثم جبلة وايامها ، ومن الموجات القبلية في نجد ، وبعد ذلك في عالية نجد ، ثم النير وما حوله ، ثم عفيف وحمى كليب ، ثم سجا وما حوله ، ونجد وحدوده ، وسوق عكاظ ، والطائف ونواحيه ، وبين الطائف ومكة ، والمشاعر المقدسة وما حولها ، ثم في مكة المكرمة ، واخيرا ... الحجاز وحدوده .

ولقد خص مكة المكرمة ببحث ممتع يفيض بالرقة والالهام ،وتتعطر كلماته بروحانية قداستها ، وتتوثب بنبض ايناسها .

وهنا يطيب لنا ان نورد من هذا البث فقرات قصيرة تعطي صورة خاطفة عن اسلوب البحث ، ونلتقي فيها بقلم المؤلف الرصين في رقته والمنساب في دقة تصويره لموضوعه .

يقول المؤلف في الفصل الذي عقده بعنوان « مكة المكرمة » .

« وتسل بنا بطحاء مكة اليها ، يشايعنا الاشراق والتجلي ،وتطفح نفوسنا بالبشر والايناس ، وتعمر بالروحانية والايمان ... هذه هي مكة بيت الله ، ومنزل الوحي ، ومهد النبوة ، ومنشأ ابطال الاسلام ، ومهوى افئدة المسلمين .. صلة السماء بالارض ، ومنطلق رسالة محمد ، ومبوأ حنيفية ابراهيم .

تقبل اليها وجوه المسلمين في اقطار الارض خمس مرات كل يوم ، ويرددون ذكرها في كتابهم ، وحجها ركن من اركان الاسلام ، حرم الله منها ما اباح في غيرها ، وجعل لها من القداسة والوقار ما لم يجعله لبقعة سواها في الارض .. لا يختلى خلاها ، ولا يقتل صيدها ، ولا يعضد شجرها، ولا تلتقط ضالتها ، وخصها بمزية الذكر والثناء في كتابه ... »

وبعد ان اورد ما نزل فيها من آيات القرآن الكريم ، واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما قيل فيها من اشعار ، اورد قول المؤرخين وعلماء البلدان ، فاورد قول ياقوت فيها وفي اهلها قبل الاسلام حيث يقول ياقوت في اهل مكة :

« ولم يكونوا كالاعراب الاجلاف ، ولا كمن يوقره دين ولا يزينه ادب ، وكانوا يختنون اولادهم ، ويحجون البيت ، ويقيمون المناسك ، ويكفنون موتاهم ، ويغتسلون من الجنابة ، تبرأوا من الهربذة .. ونزل القرآن بتوكيد صنيعهم ، وحسن اختيارهم ، وكانوا يتزوجون بالصداق والشهود .. »

هؤلاء هم اهل مكة قبل الاسلام الذين تحدث عنهم ياقوت ، ذلك لان « قبائل مكة الذين يستوطنونها هم صريح العرب وصميمهم اسلمهم لهجة ، واعلاهم بيانا ، واكرمهم محتدا .. جرهميون وخزاعيون وقرشيون ومن جاورهم من صميم قحطان ، وصريح عدنان .

ابوا دين الملوك ، فهم لقاح   اذا هيجوا الى حرب اجابوا

ثم اورد اسماء مكة ، وهي كثيرة ، وتعليل تسميتها بهذا الاسم ، ثم تحدث عن القبائل التي تعاقبت عليها ، والولاة الذين حكموها في الاسلام ، ثم عرض لاقسامها من معلاة ومسفلة يفصل بينهما الحرم ، ثم عرض لشعابها وجبالها ، وسرد كل مواضعها بالتفصيل ، واشهر جبالها ، ثم حدود الحرم في الجاهلية وفي الاسلام ، ثم عن مكة اليوم بعد ان استبحر عمرانها ، وتزايد سكانها ، ونشطت تجارتها ، وحظيت برعاية الدولة الحديثة ، وخاصة المسجد الحرام وتوسيعاته المتتالية ، وما خص الاماكن المقدسة من عناية ، وما بذل فيها لتأمين حجاج بيت الله الحرام .

ومن هذا النموذج يتأكد لنا كيف كان المؤلف وفيا لمنهجه وموضوعه بالدقة والاخلاص .

على ان هناك هاما يبرز طابع البحث العلمي في هذا الكتاب ، ويتمثل في الخرائط التفصيلية والفهارس العديدة والدقيقة والمفصلة من فهارس المواقع والاعلام والقبائل والكتب والصحف ، ثم في عشرات المراجع التي انتقاها المؤلف من بين المئات .

وهو جهد علمي مكين ، ملؤه الثقة والاخلاص ،بذله العالم العربي المؤرخ الرحالة عبد الله بن خميس في سبيل تأصيل التراث ودعم المستقبل العربي المكين ، من اجل غد افضل لكل العرب اجمعين .

القاهرة   رضوان ابراهيم

•

اوراق الليل

ديوان للشاعر نعمان ماهر الكنعاني ـ ١٢٨ صفحة ـ من القطع الصغير ـ مطبعة المعارف بغداد ١٩٧٤

لقد صدر في شهر آذار سنة ١٩٧٤ ، ديوان شعر جديد للشاعر العراقي المعروف الاستاذ نعمان ماهر الكنعاني ، باسم « اوراق الليل » وقد سبق هذا الديوان ، اربعة دواوين هي على التوالي (١ ـ في يقظة الوجدان سنة ١٩٤٣ ٢ ـ المعازف سنة ١٩٥٠ ٣ ـ لهب في دجلة سنة ١٩٦٠ ٤ ـ من شعري سنة ١٩٦٦) والديوان الجديد الذي نقدمه لقراء الاديب الزاهرة ، لا يمثل على ما نعلم ، كل ما في جعبة الشاعر الصديق ، من قصائد ومقطعات شعرية ، انما هو في الواقع عبارة عن (مختار المختار) مما في تلك الجعبة من اشعار . والديوان على صغره ، ضم بين دفتيه تسع عشرة قصيدة ، تسع منها احتواها القسم الاول من الديوان ، اما الخمس الباقيات فقد احتواهن القسم الثاني منه .

وحين احصينا ابيات هذه القصائد ظهر لنا ان عددها (٦٠٧) ابيات ، كلها من الشعر المقفى الموزون الذي يتسم بالابداع والاصالة والمتانة وحسن التعبير . واذا كان الشعراء وغيرهم ، اعتادوا غالبا على ان يقدموا شعرهم بكلمة او مقدمة ، فان شاعرنا الكنعاني ، الذي اسمى ديوانه باسم « اوراق الليل » اكتفى عن ذلك بهذا التصدير :

بيني وبين الليل عهد   يهفو له ارق وسهد
يهفو له صمت الشجون   وللشجون جوى ووقد
حتى اذا نزت بمكمنها   الجراح وضاق حد
هتف اليراع بطرسه   فاذا نثير الصدر عقد

وحين اقف مع هذا الديوان ، لست بحاجة الى اجهاد قلمي، بكتابة سطور اعرف فيها صاحبه ، لانه اعرف من ان يعرف ، ولذلك

سأحاول تلخيص الاراء التي خرجت بها ، بعد قراءته ، تبيانا للحقيقة وخدمة للادب . وها انذا اقدمها كما يأتي :

اولا – الشاعر والشعر : لقد اعلمنا الشاعر برأيه في الشعر ، حين قال :

والشعر الحان يرددها   لهف ويسمعها هوى نظر
تستافه الاشواق حالمة   بالزهو يسبقه شذا عطر
ذوب من الامل الشهي جرى   لفظا وعانق حرفه الوتر

ولا ادري ان كان هذا الراي يقبل الكلام الذي يطلق عليه اصحابه اسم الشعر الحر ؟!

ثانيا – الاصالة العربية : وفي الديوان على صغره نماذج صارخة ، تكشف عن اصالة الشاعر ونبل ارومته ، وليس في ذلك من عجب ، فالكنعاني سيد صحيح النسب ، فان تغزل بوادي الفضا ، او آمن بالعرب ، او اكبر التضحية والفداء في سبيل فلسطين فانه لتحصيل حاصل ، كما يقال ، ولنسمع ما يقول في بعضها :

وادي الفضا وتهامة غزلي   وابن الخطيم ورهطه قلمي
وتماوج الصحراء لامعة   بسرابها وقداسة الحرم
وحيي ولا ارضى بها بدلا   من غير بقض الروم والعجم

اما حرب تشرين العظيمة فقد اثارته ايما اثارة ومنها قوله :

فجر لتشرين هز الليل لامعه   كيما يقاضي على غدر حزيرانا
بل نعمة الله – جل الله – قدهتفت   فيها الملائك توحيدا وايمانا
سارت دمشق وسار النيل فالتقيا   على الفداء فهب المجد يلقانا
وللوفاء لواء خافق رفعت   بغداد في ظله للبذل بنيانا
حمية سعرت في الفساد نخوته   فصافح النصر انجيلا وقرآنا
آمنت بالعرب شقوا الدرب وانطلقوا   بمشا تحدى وزحفا صال ميدانا

ثالثا – مشاعر الحزن والالم : وفي الديوان قصيدتان تفيضان ألما وحسرة ، في الاولى وهي « دمعة الذكريات » تذكر فيها صديقه الشاعر المرحوم انور العطار ، وحين بكاه خاطب غوطة دمشق قائلا :

غوطة الشام ما الاسى من شعاري   اين نجوى الهوى وسجع الكناري

وقال :

قد طوى الصمت شاديا عن مغانيك   نقي الصداح والاوتار
لم يدع لي من ناعه غير جواب الدمع   والدمع بعض حر الاوار
دوحة الشعر دمعة ووجيب   والتراتيل جمجمات انكسار
فارق الروض والربيع يعد الوشي   قيثار انور العطار

والقصيدة الثانية ، قصيدته « شمل يفترق » عبر فيها عن ألمه الممض بفقد شقيقه العزيز ، وقال فيها :

هذا اخي جسد يسرى الشحوب به   لا نبض لا نفسا يرجى ولا رمق
جلت ارادة ربي في الذي كتبت   متى وكيف يفادي الناظر الالق
افضني انني فارقت فيه اخا   لا يثلم الصبر منه السخط والحنق
وان تشابكت الافكار باحثة   عن دربها لحبت من فكره طرق
قالوا تعز : نعم كم للعزاء يد   تخفي الاسى وهو في الاعماق ينبثق
اكاد من فجاة الفقد التي طرقت   اقول حلم بفيض ساقه قلق

رابعا – قصيدة طويلة : وفي الديوان قصيدة طويلة ، تألفت من اربعين مقطعا ، وكل مقطع يتألف من خمسة ابيات ، بقافية تختلف عن قوافي المقاطع الاخرى ، تلك هي قصيدة «اشباح واطياف» والقصيدة على طولها ، شاء الشاعر ان يثبت فيها اراءه ومواقفه واحاسيسه في شتى معاني وظروف الحياة بطريق الرمز والايماء في اغلب الاحيان !

وبمناسبة الاشارة الى هذه القصيدة المتعددة القوافي ، نقول ان شاعر العراق الكبير المرحوم الزهاوي كان في مقدمة العاملين بهذا الاسلوب من النظم ، ولاسيما في الملاحم او القصص . وقد ايد هذا الاسلوب المرحوم العقاد في مقاله المنشور على صفحات مجلة «الرسالة» القاهرية يوم ١٥ – ١١ – ١٩٤٣ حين قال : « ففي وسع الشاعر اليوم ، ان ينظم الملحمة من مئات الابيات فصولا فصولا ، ومقطوعات مقطوعات ، وكل ما انتهى من مقطوعة بدأ في قافية تريح الاذن من ملالة التكرار الخ . »

واخيرا : فان ديوان « اوراق الليل » ، الذي اتحفنا به شاعرنا الكنعاني ، في هذه الايام ، سيكون بدون شك ، هدية حرية بالتقدير والاهتمام ، لاسيما في هذا الوقت الذي يقام للشعر في (المربد) مهرجان كبير في البصرة ، مدينة الخليل بن احمد .

بغداد   عبدالرزاق الهلالي

•

الكعديات والديوان الجديد

هما ديوانان جميلان لشاعر العروبة والوجدان الاستاذ جورج كعدي من شعراء المهجر المجيدين وان اغفل ذكره المؤلفون الذين كتبوا عن ادباء المهجر وشعرائه وقد تفضل باهداء الديوانين الي وهو وايم الحق رقيق الشعور فياض العاطفة مجنح الخيال عظيم الاباء لطيف الغزل جياش الحنين الى بلاده متدفق الالهام تدفق البحر الزاخر والنهر المنساب ولاسيما في وطنياته الملتهبة ودفاعه عن امته العربية باشعار نابعة من صميم فؤاده ومثله فليكن كل شاعر عربي وهو بحماسته واشادته بقومه العرب وحضارتهم وافتخاره ببطولتهم وابطالهم كالشاعر القروي الالمعي .

والى القارىء الكريم بعض ابياته البديعة قال في الجزء الثاني من ديوانه الكعديات بعنوان : اشتاق جنات الشآم :

اشتاق جنات الشام واهلها   واذوب تحنانا الى لبنان
اهوى الرجوع الى الحمى فيصدني   قدر له في منتأى يدان
والعيش آمال تجد وتنقضي   بالنصر آونة وبالحرمان
فدع الشكاية للضعيف فانها   في الكون مدرجة الى الخذلان

وقال في قصيدته : ليتني نحلة :

ليتني نحلة احط بروض   فامص الزهور ذات الشذاء
او فراش يدور في الحقل خاوا   من شجون ولوعة وشقاء
او هزار في دوحة يتغنى   بصلاة لمبدع الاشياء

وقال في قصيدة بارعة :

وقفت شعري والحاني على وطن   مؤرق الجفن في داج من الغير
حملته في حنايا الصدر مفتخرا   بامة العرب من باد ومحتضر
حلت بعقوتها الشذاذ وارتزئت   واصبحت عرضة الاهواء والقدر
لئن غزاها بنو صهيون وانتصروا   فان نصرهم ضرب من الوضر
فسوف نخرجهم منها ولو بطروا   فالجهل والحمق مدعاة الى البطر

وقال في قصيدة رائعة :

ام المدائن قد اتيتك زائرا   والنفس شيقة الى اصحابها
وحملت قرآن العروبة في يدي   وسجدت مرتمشا لدى محرابها
ان العروبة ام كل مجاهد   رضع الهوى متعمدا بترابها
ام المدائن في رحابك شاعر   عبد العروبة باختلاف شعابها
لكنني لما ادرت نواظري   الفيتني محوا بمتن كتابها

وقال في قصيدته : الى البير اديب :

وقالوا اديب كبير ولكن   بحب العروبة ضل اللقم
وما العرب لو ادرك الجاهلون   سوى سادة الفضل منذ القدم
اغارت عليهم صروف الزمان   وحلت بهم عاديات النقم
فصال اليهود وجال القرود   فضج العراق وماد الحرم
يريدون افناء شعب اصيل   جليل المآتي كريم الشيم
ولكن ربك يأبى الفناء   لاهل الحضارة مهد العظم

وقال في قصيدة وجدانية :

فوثبنا يا شباب العرب وثبا   وكن في ساعة الجلى صبورا

ولا تياس فان الياس موت … فحاذر في جهادك ان تخورا
فما تبني المواطن غير حرب … تشيب بهولها الطفل الصغيرا

وقال في قصيدة جميلة :

فقل لاسريل ان العرب ساهرة … لم يبق في العرب الا كل سهران
اتذكرون صلاح الدين يوم مشى … يستنقذ البيت من اجلاف قرصان
اليوم كل فتى منا صلاح وغى … يأبى الهزيمة لا يرضى بخذلان

والقرصان كلمة دخيل ايطالية معناها لصوص البحر .

وقال في قصيدة بمناسبة عيد استقلال سورية :

الشام خالدة خلود ابوة … كسحوا العوالم مدنوا اغرارها
مروان كان شعاعة من نجمها … وابن الوليد لدى الوغى بتارها
من عبد شمس اصلها ونجارها … الله بارك اصلها ونجارها
منها الحضارة مددت اظلالها … بين الشعوب واطلعت اقمارها
بنت العروبة انت مهوى امة … فتن الزعامة طاردت احرارها
اليوم عيدك فافرحي وتهللي … واحدي البطولة فهرها ونزارها
انا بلبل في روضها مترنم … عشق الشآم زهورها اشجارها
في ميسلون وهي اقدس بقعة … وقف الخلود مصافحا احرارها
زرعوا الضحايا في الرمال فاثمرت … عيد الجلاء فقطفوا اثمارها

هذا ما اخترت نقله من الجزء الثاني من الكعديات وهو غيض من فيض وهذا الجزء يقع في ٢٧٤ صفحة من القطع الكبير ومطبوع في مطبعة فاندوم ببيروت عام ١٩٦٩ والان اعرض نماذج من الديوان الجديد ويقع في ١٦٥ صفحة من القطع الوسط ومطبوع بمطبعة دار الكتاب الجديد في بيروت عام ١٩٧٣ والى القارىء العزيز ما انتخبت من ابياته ، قال في قصيدة وطنية ضد الصهاينة الطغام :

عذبونا قتلونا فطغوا … نحن قوم لا نهاب الخطرا
وانسفوا اقداسنا واحتجزوا … كل حر فاضل سامي الذرى
شردونا مثلما شردكم … (هتلر) واستنجدوا كل الورى
لا تظنوا القدس راحت طلفا … ودماء العرب راحت هدرا
نحن قوم ان دهتنا مشدة … روضوا الخطب وسدوا الثغرا
نحن ابناء المثنى امة … تسلتنا الانبياء والشعرا

قوله : راحت طلفا : اي هدرا وهي كلمة غريبة والشاعر يستعمل بعض الغريب بالنظر لتعمقه في اللغة الفصحى .

وقال في محنة فلسطين :

هدر العلج من دمانا كثيرا … اعجب ان نفتدي ثوارا
ونوالي الكفاح في الكون حتى … نستعيد الحمى ونبني الديارا
ففلسطين قطعة من حشانا … كرمت عنصرا وطابت نجارا
مهد عيسى ومسرى احمد كانت … وستبقى على الزمان منارا

وقد اختلس الشاعر الالف المقصورة في قوله : ومسرى :لضرورة الوزن والاختلاس جائز في الشعر ولكنه غير مستحسن .

وقال في قصيدته : الارز في خطر :

اني احن لاهلي في حمى وطني … اشتاق صنين والوادي واخواني
اهوى البلابل تشدو فوق رابية … فتسكر الروض من شدو والحان
والارز زنبقة الدنيا بلا جدل … وسيد الحسن ان الحسن رباني
فكيف تسمح للشذاذ تكسحه … وتربه فت من اجلاد شجعان
فسلحوا الشعب كي يحمي ذرى وطن … نفدي ثراه باهداب واجفان

والاهداب والاجفان بمعنى واحد فلو قال : بارواح وابدان : لكان اولى .

وقال في قصيدته : الحب والحرية :

وحدة العرب ليس نبغي سواها … فابعث الشاردات فيها عذابا
ففلسطين لن تضيع وفينا … امل ناضر يهز الشبابا

واني اهدي الى الشاعر الكعدي اعترافا بهديته الثمينة القصيدة الاتية :

احيي الشاعر الكعدي … تحايا الشوق عن بعد
واقرنه السلام سرى … كنفح الطيب والند
بأبيات معطرة … تسجل اصدق الود
واسطار محملة … اريج الآس والورد
اتاني منه ديوانا … ن هاجا لاعج الوجد
وزفا الشعر مؤتلقا … سناه كفرقد فرد
تلألأ حسنه زهوا … تلالؤ جوهر العقد
تمنته الكعاب لها … حلى للجيد والزند
يهز النفس تأثيرا … ويحفزها الى الجد
ويصبي القلب اطرابا … ويهديه الى القصد
ويسبيه بتبيان … حلا كمذاقه الشهد
ويسحره باسلوب … بديع جل عن نقد
غلا وغلا بأخيلة … مجنحة بلا حد
وقد كسيت معانيه … بابهى الوشي في برد
كما حفلت مراميه … ببعث العز والمجد
يصور قومه الابطا … ل في الهيجاء كالاسد
ويسمع سائر الاعدا … ء قصف القول كالرعد
يفيض حماسة عظمى … ببحر منه ممتد
ويهتف بالعروبة في … قواف حرة ملد
وينشرها على الدنيا … باقصى السهل والنجد
ويزجيها الى وطن … عزيز خافق البند
يعيد الوحدة الكبرى … اليه كسالف العهد
ويجلو النصر منبلجا … لامته وللجند
فما اسماه من شعر … جميل صاغه الكعدي

جبلة ـ سورية

رشاد علي أديب